مفهوم العقيدة الإسلامية

أولاً: تعريف العقيدة في الاصطلاح العام: هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً، بغضِّ النظر عن صحته من عدمها.

ثانياً: العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة من أصول الدين، وأموره، وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله ـ تعالى ـ في الحكم، والأمر، والقدر، والشَّرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع.

ثالثاً: موضوعات علم العقيدة: العقيدة ـ بمفهوم أهل السنة والجماعة ـ اسم عَلَم على العِلْم الذي يُدرس ويَتَناول جوانب التوحيد، والإيمان، والإسلام، وأمور الغيب، والنبوات، والقدر، والأخبار، وأصول الأحكام القطعية، وما أجمع عليه السلف الصالح من أمور العقيدة، كالولاء والبراء، والواجب تجاه الصحابة، وأمهات المؤمنين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

ويدخل في ذلك الرد على الكفار، والمبتدعة، وأهل الأهواء، وسائر الملل والنحل، والمذاهب الهدامة، والفرق الضالة، والموقف منهم، إلى غير ذلك من مباحث العقيدة.

رابعاً: أسماء علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة:

١ ـ العقيدة والاعتقاد، والعقائد.

٢ـ التوحيد. ٣ـ السُنة. ٤ـ الشريعة.

٥ـ الإيمان. ٦ـ أصول الدين، أو أصول الديانة.

خامساً: أهل السنة والجماعة: هـــم من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهم المتمسكون بسنة النبي ﷺ وهم الصحابة، والتابعون، وأئمة الهُدى المتَّبِعون لهم بإحسان، وهم الذين استقاموا على الاتباع، وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة.

وسُموا بذلك لانتسابهم لسنة النبي ﷺ واجتماعهم على الأخذ بها ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد.

سادساً: أسماء أخرى لأهل السنة والجماعة: لأهل السنة والجماعة أسماء أخرى يعرفون بها، منها:

١ـ أهل السنة والجماعة. ٢ـ أهل السنة.

٣ـ الجماعة. ٤ـ السلف الصالح.

٥ـ أهل الأثر. ٦ـ أهل الحديث.

٧ـ الفرقة الناجية. ٨ـ الطائفة المنصورة.

٩ـ أهل الاتباع.

خصائص أهل السنة والجماعة

كما أن لعقيدة أهل السنة والجماعة ميزاتٍ تمتاز بها عن غيرها من العقائد ـ فكذلك لأهل السنة خصائص وميزات يمتازون بها عن غيرهم من أهل الملل والنحل، ويجدر بكل من انتسب إليهم أن يأخذ بها، ويأطر نفسه عليها، حتى ينال ما ناله أسلافه من خير وفضل.

فمن تلك الخصائص التي تميز بها أهل السنة والجماعة ما يلي:

١ـ **الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة:** فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدَهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكَهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

٢ـ **التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف:** فهم يسلِّمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.

٣ـ **الاتباع وترك الابتداع:** فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ ولا يرضون لأحد كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ.

٤ـ **الاهتمام بالكتاب والسنة:** فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحديث دراية ورواية.

بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم

بالكتاب والسنة.

٥ـ احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحديث إذا صح عن رسول الله ﷺ ولو كان آحاداً.

٦ـ ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول ﷺ: أما غير الرسـول ﷺ فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبِل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كلَّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويُرَدُّ إلا الرسول ﷺ.

أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب ـ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧ـ هم أعلم الناس بالرسول ﷺ: فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته.

بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله ﷺ.

٨ـ الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امتثالاً لقوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨).

بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩ـ تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح وهم أهل القرون المفضَّلة، ومن تبعهم بإحسان، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠ـ الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١ـ الجمع بين العلم والعبادة: بخلاف غيرهم، فإما أن يشتغل بالعبادة عن العلم، أو بالعلم عن العبادة، أما أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين.

١٢ـ الجمع بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب: فهم لا ينكرون الأسباب، ولا تأثيرها إذا ثبتت شرعاً أو قدراً، ولا يَدَعُون الأخذ بالأسباب، وفي الوقت نفسه لا يلتفتون إليها.

ولا يرون أن هناك تنافياً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب؛ لأن نصوص الشرع حافلة بالأمر بالتوكل على الله، والأخذ بالأسباب المشروعة أو المباحة في مختلف شؤون الحياة، فقد أمرت بالعمل، والسعي في طلب الرزق، والتزود للأسفار، واتخاذ العدد في مواجهة العدو.

١٣ـ الجمع بين التوسع في الدنيا والزهد بها: فأهل السنة والجماعة لا ينكرون على من يتوسع في الدنيا، ويسعى في كسب الرزق، بل يرون أنه ينبغي للإنسان أن يكفي نفسه ومن يعول، ويستغني عن الناس، ويقطع الطمع مما في أيديهم، على ألا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، وعلى ألا يكتسب المال من غير حله، كما لا يعيبون على من آثر الكفاف، ورضي بالقليل من متاع

الدنيا، لأنهم يرون أن الزهد إنما هو زهد القلب، وهو أن يترك الإنسان ما لا ينفع في الآخرة.

أما إذا توسع العبد في الدنيا، وجعلها في يده لا في قلبه، يرفد بها الإخوان، ويتصدق على الفقراء والمساكين، ويعين بها على نوائب الحق ــ فذلك من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء؛ كما هو حـــال الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم من أثرياء الصحابة من المهاجرين والأنصار ــرضي الله عنهمــ.

وكحال ابن المبارك رحمه الله فلقد كان من أغنى أهل زمانه، وهو في الوقت نفسه من أزهدهم إن لم يكن أزهدهم.

١٤ــ الجمع بين الخوف والرجاء والحب: فأهل السنة والجماعة يجمعون بين هذه الأمور، ويرون أنه لا تنافي ولا تعارض بينها.

قال الله ــسبحانه وتعالىــ في وصف عباده الأنبياء والمرسلين: [إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ](الأنبياء:٩٠).

وقال في معرض الثناء على سائر عباده المؤمنين: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ](السجدة:١٦).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فهو حروري[١] ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والحب، والرجاء فهو مؤمن موحِّد».

١ــ نسبة إلى حروراء مدينة في العراق وهي موطن الخوارج الأوائل.

١٥ـ الجمع بين الرحمة واللين والشدة والغلظة: بخلاف غيرهم ممن يأخذ جانباً من هدي السلف ويدع الجانب الآخر، فيأخذون بالشدة في جميع أحوالهم، أو باللين في جميع أحوالهم.

أما أهل السنة فيجمعون بين هذا وهذا، وكل في موضعه، حسب ما تقتضيه المصلحة، ومقتضيات الأحوال، وإن كان الأصل في معاملتهم لزوم الرفق، والأخذ باللين.

١٦ـ الجمع بين العقل والعاطفة: فعقولهم راجحة، وعواطفهم صادقة، ومعاييرهم منضبطة، فلم يغلِّبوا جانب العقل على العاطفة، ولا جانب العاطفة على العقل، وإنما جمعوا بينهما على أكمل وجه وأتمه، فمع أن عواطفهم قوية مشبوبة إلا أن تلك العواطف تضبط بالعقل، وذلك العقل يضبط بالشرع.

[نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ] (النور:٣٥).

١٧ـ العدل: فالعدل من أعظم المميزات لأهل السنة والجماعة، فهم أعدل الناس، وأولاهم بامتثال قول الله ـعز وجلـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ](النساء:١٣٥).

وقوله: [وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى] (الأنعام: ١٥٢).

حتى إن الطوائف الأخرى إذا تنازعت احتكمت إلى أهل السنة.

١٨ـ الأمانة العلمية: فالأمانة زينة العلم، وروحه الذي يجعله زاكي الثمر، لذيذ المطعم، وأهل السنة لهم القِدحُ المعلى في ذلك الشأن.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم ـ الأمانة في النقل، والبعد عن التزوير، وقلب الحقائق، وبتر النصوص، أوتحريفها، فإذا نقلوا عن مخالف لهم نقلوا كلامه

تامّاً، فلا يأخذون منه ما يوافق ما يذهبون إليه، ويدعون ما سواه؛ كي يدينوا المخالف لهم، وإنما ينقلون كلامه تامّاً، فإن كان حقاً أقرّوه، وإن كان باطلاً ردّوه، وإن كان فيه وفيه، قبلوا الحق وردّوا الباطل، كل ذلك بالدليل القاطع، والبرهان الساطع.

ومن مظاهر الأمانة العلمية عندهم أنهم لا يحمّلون الكلام ما لا يحتمل، وأنهم يذكرون ما لهم وما عليهم، وأنهم يرجعون للحق إذا تبيّن، ولا يفتون ولا يقضون إلا بما يعلمون.

كما أنهم أحرص الناس على نسبة الكلام إلى قائله، وأبعدهم من نسبته إلى غير قائله.

١٩ـ الوسطية: قال ـ تعالى ـ: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً](البقرة:١٤٣).

فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك ـ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتجلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

٢٠ـ عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون ـ بحمد الله ـ في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وحقيقته ومسائله واحد، وقولهم في

القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

٢١ـ ترك الخصومات في الدين، ومجانبة أهل الخصومات: لأن الخصومات مدعاةٌ للفرقة والفتنة، ومجلبةٌ للتعصب واتباع الهوى، ومطيةٌ للانتصار للنفس، والتشفي من الآخرين، وذريعة للقول على الله بغير علم.

أخرج الآجري رحمه الله بسنده عن مسلم بن يسار رحمه الله أنه قال: «إياكم والمراءَ؛ فإنه ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته».

وأخرج أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل».

وقال جعفر بن محمد رحمه الله: «إياكم والخصوماتِ؛ فإنها تشغل القلب وتورث النفاق».

٢٢ـ الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق: فهم حريصون كل الحرص على وحدة المسلمين، ولمِّ شعثهم، وجمع كلمتهم على الحق، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن الله ـعز وجلـ أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله ـتعالىـ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا] (آل عمران:١٠٢، ١٠٣).

بخلاف الذين يسعون للفرقة بين المسلمين، ويبذرون بذور الشقاق في صفوفهم، فيفرقونهم عند أدنى نازلة، ويحزبونهم، ويؤلبون بعضهم على بعض، ويُغْرُون بعضهم ببعض.

٢٣ـ سعة الأفق: فهم أوسع الناس أفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف

صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً.

وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به.

ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة.

٢٤ـ حسن الخلق: فأهل السنة أحسن الناس خلقاً، وأكثرهم حلماً وسماحة وتواضعاً، وأحرصهم دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال.

٢٥ـ هم أهل الدعوة إلى الله: فهم يدعون إلى دين الإسلام، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويسلكون في ذلك شتى الطرق المشروعة والمباحة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويعبدوه حق عبادته.

فلا أحد أحرص منهم على هداية الخلق، ولا أحد أرحم منهم بالناس.

٢٦ـ هم الغرباء: الذين يُصْلحُونَ ما أفسد الناس، ويَصلُحون إذا فسد الناس.

٢٧ـ هم الفرقة الناجية: التي تنجو من البدع والضلالات في هذه الدنيا، وتنجو من عذاب الله يوم القيامة.

٢٨ـ وهم الطائفة المنصورة: لأن الله معهم، وهو مؤيدهم وناصرهم.

٢٩ـ لا يوالون ولا يعادون إلا على أساس الدين: فلا ينتصرون لأنفسهم، ولا يغضبون لها، ولا يوالون لِعُبِّيَّة جاهلية، أو عصبية مذهبية، أو راية حزبية، وإنما يوالون على الدين، فولاؤُهم لله، وبراؤهم لله، ومواقفهم ثابتة، لا تتبدل

ولا تتغير.

٣٠ـ سلامتهم من تكفير بعضهم لبعض: فأهل السنة سالمون من ذلك، فهم يردون على المخالف ولو كان منهم، ويوضحون الحق للناس، فهم يُخطِّئون، ولا يكفرون، ولا يبدعون، ولا يفسقون إلا من استحق ذلك.

بخلاف غيرهم من الطوائف الأخرى كالخوارج الذي يكثر فيهم الاختلاف والتضليل والتكفير؛ ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها.

٣١ـ سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب الرسول ﷺ: فقلوبهم عامرة بحبهم، وألسنتهم تلهج بالثناء عليهم، فأهل السنة يرون أن الصحابة خير القرون؛ لأن الله ـعز وجلـ زكاهم وكذلك رسوله ﷺ.

٣٢ـ سلامتهم من الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض: فأهل السنة والجماعة أكثر الناس رضاً ويقيناً، وطمأنينة، وإيماناً، وأبعدهم عن الحيرة والاضطراب، والتخبط والتناقض.

حتى إنه ليوجد عند عوام أهل السنة من بَرْدِ اليقين، وحسن المعتقد، والبعد عن الحيرة ـ ما لا يوجد عند علماء الطوائف الأخرى من أهل الكلام وغيرهم ممن اضطربوا في تقرير عقائدهم فحاروا وحيَّروا، وتعبوا وأتعبوا.

٣٣ـ يدينون بالنصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم: منطلقين بذلك من قول النبي ﷺ:«**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ **قال:** «**لله ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين، وعامتهم**».

فهم ينصحون لله إيماناً به، وقياماً بحقه، وعبودية له ظاهراً وباطناً.

وينصحون لكتاب الله بالإقبال عليه تلاوة وحفظاً وتدبراً وتعلماً لألفاظه ومعانيه، وعملا به، ودعوة للناس إليه.

وينصحون للرسول ﷺ بمحبته، وتعظيمه، وتوقيره، والإقتداء به، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والذب عنه، ونصرة دينه، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر.

وينصحون لأئمة المسلمين ـ من الإمام الأعظم إلى من دونه ممن لهم ولاية خاصة أو عامة ـ باعتقاد ولايتهم، وبالسمع والطاعة لهم بالمعروف، وببذل المستطاع لإرشادهم، وتنبيههم على ما فيه صلاحهم وصلاح الأمة جمعاء، وتحذيرهم مما فيه ضرر عليهم وعلى الأمة.

٣٤ـ التثبت في الأخبار، وعدم التسرع في إطلاق الأحكام: بخلاف الذين يسارعون في إطلاق الأحكام، ويتهافتون على إلصاق التهم بالأبرياء، فَيُفَسِّقُون، ويبدعون، ويكفرون بالتهمة والظنة، من غير ما برهان أو بينة.

٣٥ـ حصول البشرى عند الممات: وذلك لإيمانهم بالله، واستقامتهم على أمره، قال ـ تعالى ـ: [إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ] (فصلت: ٣٠).

٣٦ـ مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات: فمن أسباب مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات ـ بل هو أساسها وأصلها ـ صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان.

وأهل السنة والجماعة أصح الناس عقيدةً، وأقواهم إيماناً؛ ولذلك فأعمالهم تضاعف مضاعفة كبيرة، ودرجاتهم ترفع وتعلو عُلواً لا يدانيه أحد، ولا

يشاركهم فيه إلا من كان على مثل ما هم عليه من العقيدة والإيمان.

ولهذا كان السلف يقولون:«أهل السنة والجماعة إن قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عقائدهم، وأهل البدع إن كثرت أعمالهم قعدت بهم عقائدهم».

هذه مآثر أهل السنة والجماعة، وهذه بعض خصائصهم التي تميزوا بها على غيرهم، وتلك هي الخصال التي طبقها سلفنا الصالح ـرحمهم الله ورضي عنهمـ فنالوا الخيرات، وحصلوا على البركات.

وليس معنى ذلك أن أهل السنة معصومون؟ لا، بل إن منهجهم هو المعصوم، وجماعتهم هي المعصومة.

أما آحادهم فقد يقع منه الظلم والبغي، والعدوان، وارتكاب المخالفات.

ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى غيرهم، ولا يُقَرُّ من فعل ذلك منهم، بل يبتعد عن السنة بقدر مخالفته.

ثم إن ما عند أهل السنة من مخالفات وأخطاء فعند غيرهم أكثر مما عندهم، وما عند غيرهم من فضل وعلم وكمال فعند أهل السنة أكمله وأتمه.

فما أجدرنا ـمعاشر المسلمينـ أن نأخذ بمنهج أهل السنة، وأن نوطن أنفسنا على ذلك، وما أحرانا ـنحن أهل السنةـ أن نقوم بالسنة حق القيام، وأن نقتدي بسلفنا الصالح في كل أمورنا؛ لنرضي ربنا ـجل وعلاـ ولنعطي صورة مشرقة عن الإسلام الصحيح النقي؛ ليقبل الناس عليه، ويحرصوا على الدخول فيه، ولئلا نصبح فتنة لغيرنا من الكفار والمبتدعة، فإذا رأوا ما عليه بعض أهل السنة من بعد عن المنهج ـ قالوا: إذا كان خاصة المؤمنين بهذه المثابة فلا لوم علينا ولا تثريب، وبذلك تندرس معالم الحق، وتنطمس أنوار الهدى.

وأخيراً: نحمد الله أن جعلنا من أهل السنة، ونسأله أن يتم علينا النعمة والمنة، وأن يرزقنا لزوم السنة، والعمل بالسنة، وأن يتوفانا على السنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مصادر الدين هي: الكتاب والسنة (الوحي فحسب)[1]

المنهج الحق، منهج السلف الصالح، أهل السنة والجماعة يقوم على: أن مصادر الدين: الكتاب والسنة، والإجماع (وهو مبني عليهما)، وما عدا ذلك فهو باطل؛ لأنه بموت النبي ﷺ انقطع الوحي، وقد أكمل الله تعالى الدين، قال تعالى: ﴿.. **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ..﴾ [المائدة: ٣]، والرسول ﷺ قد أدى الرسالة وبلغ الأمانة، وقال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض**»[2].

والدين الحق يقوم على التسليم لله تعالى؛ والتسليم يرتكز على: التصديق والامتثال، والاتباع لرسول الله ﷺ وهو دين الله تعالى، أنزله على رسوله ﷺ بالوحي وأكمله فليس لأحد أن يُحْدث شيئاً زاعماً أنه من الدين لأن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[3] فالدين كله عقيدة وشريعة، لا يجوز استمداده إلا من الوحي.

---

(١) راجع مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للمؤلف ص٨٨، ومناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع للمؤلف كذلك ص ١٣ ، ١٤ .
(٢) صحيح الجامع الصغير (٢٩٣٤).
(٣) متفق عليه البخاري رقم (٢٦٩٧) ومسلم رقم (١٧١٨).

والعقيدة هي أصول الدين وثوابته وقواطعه، وعليه فإن: مصادر تلقي العقيدة الحق، هي: الكتاب، والسنة وإجماع السلف، وهذه هي مصادر الدين، ويتفرع عن هذه القاعدة العظيمة الأصول التالية:

١ ـ إذا اختلفت فهوم الناس لنصوص الدين، فإنَّ فَهْمَ السلف (الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم) هو الحجة، وهو القول الفصل في مسائل الاعتقاد وغيرها لأنهم خيار الأمة، وأعلمها وأتقاها وقد أمرنا الله وأمرنا رسوله ﷺ بالاقتداء بهم، والرجوع إليهم، وتوعد من اتبع غير سبيلهم، وعليه فإن:

٢ ـ منهج السلف في تقرير العقيدة يعتمد على الكتاب والسنة، ولذلك كان هو الأعلم والأسلم والأحكم. ويتمثل ذلك بآثارهم المبثوثة في مصنفاتهم، وفي كتب السنة والآثار.

٣ ـ العقيدة توقيفية لا يجوز تلقيها من غير الوحي؛ لأنها غيب لا تحيط بها مدارك البشر، ولا عقولهم ولا علومهم.

٤ ـ العقيدة غيبية في تفاصيلها، فلاتدركها العقول استقلالاً، ولا تحيط بها الأوهام، ولا تدرك بالحواس والعلوم الإنسانية ولا غيرها.

٥ ـ كل من حاول تقرير العقيدة واستمدادها من غير مصادرها الشرعية فقد افترى على الله كذباً، وقال على الله بغير علم.

٦ ـ كما أن العقيدة مبناها على التسليم والاتباع: التسليم لله تعالى، والاتباع لرسوله ﷺ.

قال الزهري: (منَ الله ـ عز وجل ـ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغَ، وعلينا التسليم)(١).

٧ ـ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأئمة التابعين وتابعيهم وأعلام السنة ـ السلف الصالح ـ كانوا على هدي رسول الله ﷺ، وسبيلهم هو سبيل المؤمنين، وآثارهم هي السنة والطريق المستقيم. قال الأوزاعي: (عليك بآثار مَنْ سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب (٤٦)، والفتح جـ ١٣، صـ٥٠٨.

(٢) رواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠٧٧، ٢٠٧٨) ٢ / ١٠٧١ وقال المحقق إسناده صحيح، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٤١ ـ ١٦٠)/ ٤٩٠.

مصادر التلقي عند أهل الأهواء

أما أهل الأهواء فقد تفرقت بهم السبل في مصادر تلقي الدين والعقيدة، وتنوعت مشاربهم ومصادرهم، فجعلوا من مصادر الدين وتلقي العقيدة:

١ ـ العقليات والأهواء والآراء الشخصية، والأوهام والظنون وهي من وساوس الشياطين وأوليائهم، ومن اتباع الظن وما تهوى الأنفس.

٢ ـ الفلسفة وتقوم على أفكار الملاحدة والمشركين من الصابئة واليونان والهنود والدهريين ونحوهم، والفلسفة أوهام وتخرصات ورجم بالغيب.

٣ ـ عقائد الأمم الأخرى ومصادرها، مثل كتب أهل الكتاب وأقوالهم، والمجوس والصابئة، والديانات الوضعية الوثنية.

٤ ـ الوضع والكذب (لدى الرافضة والصوفية وغالب الفرق)، ومصدره الزنادقة ورؤوس أهل البدع، فإنهم يكذبون على النبي ﷺ، وعلى الصحابة والتابعين وأئمة الهدى وسائر الناس، ويضعون الأحاديث والروايات بأسانيد وهمية ومختلقة.

٥ ـ الرؤى والأحلام والكشف والذوق (لدى الصوفية والرافضة ونحوهم)، ومصدرها الأهواء وإيحاء الشياطين.

٦ ـ المتشابه والغريب والشاذ من الأدلة الشرعية واللغة وأقوال الناس.

٧ ـ الاعتماد على آراء الرجال دون عرضها على الشرع أو القول بعصمتهم وتقديسهم.

سلامة منهج الاستدلال عند السلف أهل السنة وفساد مناهج المخالفين في ذلك

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

ومنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة يقوم على القواعد التالية:

١ ـ حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الوحي) في الدين.

٢ ـ مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، و العموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣ ـ يعملون بكل ما صح من الأدلة الشرعية دون تفريق بين آحاد وغيره.

٤ ـ يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٥ ـ يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع، ثم آثار السلف الصالح أئمة الهدى الذين هم بهم مقتدون.

٦ ـ ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولا يخوضون فيه.

٧ ـ يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.

٨ ـ يتجنبون المراء والخصومات في الدين، ولا يجادلون إلا بالتي هي أحسن.

٩ ـ ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

١٠ ـ يتجنبون التأويل في العقيدة والغيبيات ـ بغير دليل شرعي صريح ـ لأنه قول على الله بغير علم؛ ولأن مسائل العقيدة والغيبيات توقيفية لا مجال للرأي ولا للعقل فيها ولا تدرك بالعلوم الحسية.

١١ ـ يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

أما منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع والافتراق إجمالاً فإنه يقوم على الأسس التالية:

١ ـ عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢ ـ لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾[آل عمران:٧]، ويضربون الأدلة بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبيِّن، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣ـ يضعون لأنفسهم أصولاً يبتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤ـ يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥ـ لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانوبنهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦ـ يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

٧ـ يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨ـ يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩ـ يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة

والشريعة وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع ثم يحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.

١٠ ـ يعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

١١ ـ ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.

المبحث الأول: مفهوم الإيمان بالله، وثمراته، وأدلته

أولاً: مفهوم الإيمان بالله وما يتضمنه

للإيمان بالله وتوحيده عدة تعريفات، تتفق في المعنى وربما اختلفت ألفاظها، فمن تلك التعريفات مايلي:

١ــ هو إفراد الله بما يستحق.

٢ــ هو إفراد الله بحقوقه.

٣ــ هو التصديق الجازم بوجود الله ــتعالىــ وتوحيده بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته(١).

٤ــ هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، وأن كل معبود سواه فهو باطل، وعبادته باطلة، وأنه ــسبحانهــ متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال، متره عن كل نقص وعيب.

من خلال ما مضى يتبين أن الإيمان بالله يتضمن أموراً أربعة:

١ــ الإيمان بوجود الله: وذلك باعتقاد وجوده وجوداً كاملاً لم يسبق بعدم، ولا ينتهي بفناء.

٢ــ الإيمان بربوبيته: وذلك باعتقاد انفراده ــعز وجلــ بأفعاله، وأنه لا شريك له في خلقه، وملكه، وتدبيره، وغير ذلك من مقتضيات الربوبية.

١ــ انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي ص٥٠.

٣ـ الإيمان بأسمائه وصفاته: وذلك باعتقاد أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف.

٤ـ الإيمان بألوهيته: وذلك بإفراده ـعز وجلـ بأفعال العباد؛ فلا يُصْرَفُ أيُّ نوعٍ من أنواع العبادة لغيره ـتبارك وتعالىـ.

ثانياً: ثمرات الإيمان بالله

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائد جمة، وفضائل كثيرة، منها:

١ـ الأمن التام والاهتداء التام: فبحسب الإيمان يحصل الأمن والاهتداء في الدنيا والبرزخ والآخرة قال ـعز وجلـ: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] (الأنعام: ٨٢).

٢ـ الإيمان بالله طاعة لله ـعز وجلـ: فالله أمرنا بالإيمان به، وطاعتُه واجبةٌ، وهي أصل كل خير، قال ـتعالىـ: [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ] (البقرة: ١٣٦).

٣ـ حصول الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة: قال ـعز وجلـ: [وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً] (النور: ٥٥).

٤ـ دخول الجنان والنجاة من النيران: قال ـتعالىـ: [إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ] (محمد: ١٢).

٥ـ الحياة الطيبة: فالحياة الطيبة الحافلة بكل ما هو طيب إنما هي ثمرة من

ثمرات الإيمان بالله _عز وجل_ [مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً] (النحل: ٩٧).

قال ابن كثير رحمه الله في شرح هذه الآية: «وهذا وعد من الله _تعالى_ لمن عمل صالحاً، وهو العمل المتابع لكتاب الله _تعالى_ وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا المأمور به مشروع من عند الله _ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الآخرة.

والحياة الطيبة تشتمل على وجوه الراحة من أي جهة كانت»[1].

٦_ **حلول الخيرات ونزول البركات:** قال الله _تعالى_: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (الأعراف: ٩٦).

٧_ **الهداية لكل خير:** قال الله _تعالى_: [وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ] (التغابن: ١١).

وقال: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ] (يونس: ٩).

٨_ **زيادة الإيمان والثبات عليه:** فالمؤمنون يتقلبون من نعمة إلى نعمة، وأعظم نعمة يجدونها من الإيمان بالله هي أن يثبتهم الله على الحق، ويزيد إيمانهم، فالثبات على الإيمان سبب لزيادته قال _تعالى_: [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى

١_ تفسير ابن كثير ٥٦٦/٢.

وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ] (محمد: ١٧).

٩ــ الفوز بولاية الله ــعز وجلــ: وأكرم بها من ولاية، قال ــتعالىــ: [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١)] (محمد).

١٠ــ السلامة من الخسارة: قال ــتعالىــ: [وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)] (العصر).

١١ــ الإيمان بالله سبب لدفاع الله عن أهله: قال ــعز وجلــ: [إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا] (الحج: ٣٨).

١٢ــ تكفير السيئات: قال ــتعالىــ: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ] (محمد:٢).

١٣ــ الرفعة والعلو: قال ــتعالىــ: [يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ] (المجادلة: ١١).

١٤ــ إخلاص العمل: فلا يمكن للعبد أن يقوم بالإخلاص لله، ولعباد الله، ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

١٥ــ قوة التوكل: فالإيمان بالله يوجب للعبد قوة التوكل على الله، [وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ] (الطلاق:٣).

١٦ــ الشجاعة: فالإيمان بالله يبعث على الشجاعة والإقدام؛ لأنه يملأ قلب المؤمن بالخوف من الله، والخشية له، وتعظيمه، وإجلاله.

وإذا كان كذلك ذهب خوف الخلق من قلبه كليةً؛ فالجزاء من جنس العمل؛ فمن خاف الله آمنه من كل شيء، وجعل مخاوفه أمناً والعكس.

١٧_ حسن الخلق: فالإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف أثَّر ذلك في أخلاق العبد انحرافاً بحسب بُعْده عن الإيمان.

١٨_ الإعانة على تحمل المشاق: فالإيمان أكبر عون على تحمل المشاق، والقيام بالطاعات، وترك الفواحش والمنكرات.

١٩_ الذكر الحسن: فالإيمان يوجب لصاحبه أن يكون معتبراً عند الخلق أميناً.

٢٠_ عزة النفس: فالإيمان يوجب للعبد العفة، وعزة النفس، والترفع عن إراقة ماء الوجه؛ تذللاً للمخلوقين.

٢١_ أن الإيمان هو السبب الوحيد للقيام بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد البدني والمالي والقولي في سبيل الله.

هذا شيء من ثمرات الإيمان، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة كله فرع عن الإيمان، ومترتب عليه، والهلاك والنقصان إنما يكون بفقد الإيمان، أو نقصه[1].

ثالثاً: الأدلة على وحدانية الله _سبحانه وتعالى_

الأدلة على وحدانية الله كثيرة جداً، ويكفي منها شهادته _عز وجل_ لنفسه حيث قال: [شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)] (آل عمران).

وصدق من قال:

١_ انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لابن سعدي، ١٣٠_١٣٤.

المبحث الأول: مفهوم الربوبية

أولاً: معنى كلمة الرب

كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ:

قال ابن منظور: «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم».

وقال: «ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ـعز وجلـ وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا».

وقال:«وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله ـتعالىـ وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر»[١].

وقال: «ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال» [٢].

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال ـتعالىـ:[أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ] (الأعراف: ٥٤).

وقال: [ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ](فاطر:١٣).

قال ابن منظور: «الرب: هو الله ـعز وجلـ هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك

١ـ لسان العرب ٣٩٩/١ـ ٤٠٠.
٢ـ لسان العرب ٣٣٩/١.

والأملاك»[١].

ثانياً: تعريف توحيد الربوبية

هو الإقرار الجازم بأن الله وحده ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنه الخالق للعالم، المحيي المميت، الرزاق ذو القوة المتين، لم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد له، ولا مماثل، ولا سمي، ولا منازع له في شيء من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته[٢].

وهناك تعريف آخر مختصر وهو: توحيد الله بأفعاله.

ثالثاً: أسماء توحيد الربوبية

لهذا النوع من التوحيد أسماء أخرى منها:

١ـ توحيد الربوبية ـكما سبقـ. ٢ـ التوحيد العلمي. ٣ـ التوحيد الخبري.

٤ـ توحيد المعرفة والإثبات. ٥ـ التوحيد الاعتقادي.

رابعاً: أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

١ـ الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ بَرِّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛

١ـ لسان العرب ١/٣٩٩.

٢ـ انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله، ص٣٣ـ٣٤، وأعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص٥٥، وانظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح الفوزان، ص١٦.

وهي خَلقه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

٢_ الربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة[١].

خامساً: توحيد الربوبية ليس هو الغايةَ في التوحيد

توحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، ولكن هذا النوع من أنواع التوحيد ليس هو الغايةَ التي جاءت بها الرسل، وأنزلت من أجلها الكتب، وليس الغايةَ التي من جاء بها فقد جاء بالتوحيد وكماله؛ ذلك أن الله أمر بعبادته التي هي كمال النفوس وصلاحها وغايتها، ولم يقتصد على مجرد الإقرار به كما هو غاية الطريقة الكلامية[٢].

يُضاف إلى ذلك أن المشركين كانوا مقرين به، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي وحده، بل لا بد من توحيد الألوهية.

ثم إن توحيد الربوبية مركوز في الفطر كلها، فلو كان هو الغاية لما كان هناك حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

١_ انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ ابن سعدي ٢٨٨/١.
٢_ انظر مجموع الفتاوى ١٢/٢.

المبحث الثاني: أدلة توحيد الربوبية، وآثاره

أولاً: أدلة توحيد الربوبية

أدلة توحيد الربوبية كثيرة متنوعة، تدل على تفرد الله بالربوبية على خلقه أجمعين؛ فقد جعل الله لخلقه أموراً لو تأملوها حق التأمل وتفكروا بها _ لَدَلَّتْهُمْ إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الكون.

والقرآن مليء بذكر الأدلة على ربوبية الله، فمن ذلك قوله _تعالى_:[الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ](الفاتحة:٢)، وقوله [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ](الذاريات:٥٨)، وقوله:[إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)] (يس)، وقوله: [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] (البقرة:١٦٤)، وقوله _تعالى_:[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] (الروم:٤٠).

ومن الدلالات على ربوبية الله على خلقه ما يلي:

١_ دلالة الفطرة: ذلك أن الله _سبحانه_ فطر خلقه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالق، الرازق المدبر، المحيي المميت؛ فالإيمان بالربوبية أمر جبلي مركوز في فطرة كل إنسان، ولا يستطيع أحد دفعه ولا رفعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:«ولما كان الإقرار بالصانع فطريّاً كما قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[١] الحديث _ فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يُعْرَفُ ويُعْبَدُ»[٢].

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بتوحيد الربوبية مع شركهم بالألوهية.

ومما يدل على ذلك ما هو مبثوث في غضون أشعارهم، ومن ذلك قول عنترة:

يا عبل أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها[٣]

وقول زهير ابن أبي سلمى:

فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكْتم الله يعلمِ

يُؤَخر فَيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخرْ ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فينقمِ[٤]

ولقد بين الله _سبحانه وتعالى_ ذلك في القرآن كما في قوله: [وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ] (العنكبوت:٦١).

٢_ دلالة الأنفس: فالنفس آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسان النظر في نفسه وما فيها من العجائب لعلم أن وراء ذلك رباً حكيماً خالقاً قديراً.

١_ أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).
٢_ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦/٢.
٣_ ديوان عنترة ص ٧٤.
٤_ ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٤.

قال _تعالى_:[وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ] (التغابن:٣)، وقال:[وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧)](الشمس: ٧).

٣_ دلالة الآفاق: كما قال _سبحانه_:[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] (فصلت:٥٣) فلو تأمل الإنسان الآفاق وما أودع الله فيها من الغرائب والعجائب _ لأدرك أن هناك خالقاً لهذه الأكوان، وأنه عليم حكيم[١].

ثانياً: آثار توحيد الربوبية وثمراته

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، فإذا أيقن المؤمن أن له ربّاً خالقاً هو الله _تبارك وتعالى_ وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقالُ ذرةٍ في السموات والأرض _ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تزلزله الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائماً خائفاً من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك التقوى، والتقوى رأس الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني[٢].

ولهذا قال ﷺ:«**ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً**»[٣].

١_ انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ٧١_٧٢ للشيخ عبد الرزاق العباد، والإيمان بالله للكاتب ص١٤_٥٩.

٢_ انظر منهج جديد لدراسة التوحيد للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ص٨٢.

٣_ رواه مسلم (٣٤)، وأحمد ٢٠٨/١.

ومن ثمراته أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع _ قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى إفراد الله بالدعاء والإرادة والقصد.

ثم إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله _ انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله _عز وجل_.

وهكذا نجد أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

وبالجملة فإن الكلام في مقتضيات الربوبية، وما تثمره من ثمرات يفوق الحصر والعد، وما مضى إنما هو إشارات عابرة.

المبحث الثالث: الضلال في توحيد الربوبية

أولاً: مضادة توحيد الربوبية

يضاد توحيد الربوبية الإلحاد، وإنكار وجود الرب ـعز وجلـ.

ويضاده ـأيضاًـ اعتقاد متصرف مع الله ـعز وجلـ في أي شيء؛ من تدبير الكون، من إيجاد، أو إعدام، أو إحياء، أو إماتة، أو جلب خير، أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته، كعلم الغيب، أو كالعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك[1].

وكما يضاده ـأيضاًـ اعتقاد مشرع مع الله ـعز وجلـ لأنه هو الرب وحده، وربوبيته شاملة لأمره الكوني والشرعي.

ثانياً: إنكار الربوبية

لم ينكرْ توحيدَ الربوبية أحدٌ من البشر إلا طائفة من الشذاذ المكابرين المعاندين المنكرين لما هو متقرر في فطرهم؛ فإنكارهم إنما كان بألسنتهم مع اعترافهم بذلك في قرارة أنفسهم.

ومن أشهر من عرف بذلك فرعون؛ الذي قال لقومه ـكما أخبر الله عنهـ:[أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى](النازعات:٢٤) وقال: [مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] (القصص: ٣٨).

وكلامه هذا مجرد دعوى لم يَقُمْ عليها بينةٌ، ولا دليلٌ، بل كان هو نفسُه غير

١ـ انظر أعلام السنة المنشورة ص ٥٦.

مؤمن بما يقول.

قال _تعالى_ على لسان موسى _عليه السلام_: [لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً] (الإسراء:١٠٢).

وأخبر _عز وجل_ وهو العليم بذات الصدور _ أن كلام فرعون ودعواه لم يكن عن عقيدة ويقين، وإنما هو مكابرة وعناد، قال _تعالى_:[وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً] (النمل: ١٤).

وممن أنكر ذلك _أيضاً_ الشيوعيون، فلقد أنكروا ربوبية الله، بل أنكروا وجوده _سبحانه وتعالى_ بناءاً على عقيدهم الخبيثة الفاجرة التي تقوم على الكفر بالغيب، والإيمان بالمادة وحدها.

وهم في الحقيقة لم يزيدوا على أن سموا الله بغير اسمه، بحيث ألَّهوا الطبيعة، ونعتوها بنعوت الكمال التي لا تليق بأحد إلا الله _عز وجل_ فقالوا: الطبيعة حكيمة، الطبيعة تخلق، إلى غير ذلك.

وكلامهم هذا باطل متهافت، بل إن أصحاب هذا المبدأ انشقوا على أنفسهم، ولعن بعضُهم بعضاً، وكَفَرَ بعضُهم ببعض[1].

ثالثاً: الفرق التي أشركت بالربوبية[2]

هناك أقوامٌ أشركوا بالربوبية، وفِرَقٌ أشركت به، ومن هؤلاء:

---

١ _ انظر الشيوعية للكاتب.

٢_ انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ص٢٤_٢٦.

١ــ **المجوس**: «الأصلية» قالوا بالأصلين: النور والظلمة، وقالوا: إن النور أزليٌّ، والظلمة محدثة.

٢ــ **الثنوية**: «أصحاب الاثنين الأزليّين»: الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام، لكن قالوا باختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والخبر، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح، ولم يقولوا بتماثلهما في الصفات والأفعال، كما ترى، وإن قالوا بتساويهما في القدم.

٣ــ **المانوية**: «أصحاب ماني بن فاتك»: قالوا: إن العَالَمَ مصنوع من أصلين قديمين، ولكن قالوا باختلافهما في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير.

٤ــ **النصارى**: «القائلون بالتثليث»: فالنصارى لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضها عن بعض، بل هم متفقون على أنه صانع واحد يقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد، ويقولون: واحد بالذات ثلاثة بالأقنوم.

أما الأقانيم فإنهم عجزوا عن تفسيرها.

وقولهم هذا متناقض أيما تناقض وتصوره كافٍ في رده، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا قال طائفة من العقلاء:إن عامة مقالات الناس يمكن تصورُها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا، بل تكلموا بجهل، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ولهذا قال بعضهم: لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحدَ عشرَ قولاً.

وقال آخر: لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال

الرجل قولاً، وامرأته قولاً آخر، وابنه قولاً ثالثاً»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله في معرض رده عليهم:«أما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمةً أشدَّ اختلافاً في معبودها منكم؛ فلو سألت الرجل، وامرأته، وابنته، وأمه، وأباه، عن دينهم لأجابك كلٌّ منهم بغير جواب الآخر»[٢].

بل قيل فيهم:«لو توجهت إلى أي نصراني على وجه الأرض، وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه، وما يعتقده في طبيعة المسيح تصويراً دقيقاً _ لما استطاع ذلك»[٣].

هذا وقد بيَّن الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) ما عندهم من التناقض، وكذلك الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية).

٥_ القدرية: هم في الحقيقة مشركون في الربوبية، وهذا لازم لمذهبهم؛ لأنهم يرون أن الإنسان خالقٌ لفعله، فهم أثبتوا لكل أحد من الناس خَلْقَ فعله.

والخلق إنما هو مما اختص الله به، قال _تعالى_:[وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ] (الصافات: ٩٦).

وأفعال العباد لا يخرجها شيء من عموم خلقه _عز وجل_[٤].

٦_ الفلاسفة الدهرية: في قولهم في حركة الأفلاك بأنها تسعة، وأن التاسع منها وهو الأطلس يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله

١_ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ١٥٥/٢.
٢_ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص٣٢١.
٣_ ما يجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير لإبراهيم الجبهان، ص١٣.
٤_ انظر مجموع الفتاوى٢٥٨/٨، والإيمان بالقضاء والقدر للكاتب ص١٧٣_١٧٤.

يحدث ما يقدره في الأرض.

٧_ عبدة الأصنام من مشركي العرب وغيرهم: ممن كانوا يعتقدون أن الأصنام تضر وتنفع، فيتقربون إليها، وينذرون لها، ويتبركون بها.

٨_ غلاة الصوفية: لغلوهم في الأولياء، وزعمِهم أنهم يضرون، وينفعون، ويتصرفون في الأكوان، ويعلمون الغيب، ولقولهم بوحدة الوجود، وربوبيةِ كلِّ شيءٍ[١].

٩_ الشيعة: لقولهم بأن الدنيا والآخرة للإمام، يتصرف بها كيف يشاء، وأن تراب الحسين شفاءٌ من كل داء، وأمانٌ من كل خوف، ولقولهم: إن أئمتهم يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا بإذنهم.

وهذا باطل، وبطلانه لا يحتاج إلى دليل، بل إن فساده يغني عن إفساده[٢].

١٠_ النصيرية: لقولهم بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبأنه المتصرف بالكون، لوصفهم إياه بأوصاف لا يجوز أن يوصف بها أحد إلا الله _عز وجل_ مع اختلاف أقوالهم في هذا؛ فبعضهم يقول: إنه يسكن في الشمس ويُسَمَّون بــ: الشمسية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في القمر، ويُسَمَّون بــ: القمرية.

وبعضهم يقولون: إنه يسكن في السحاب، ولذا إذا رأوا السحاب قالوا: السلام عليك يا أمير النحل[٣].

١_ انظر هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل، ص٣٥_٣٨ و١٣٣.

٢_ انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب، تحقيق: محمد مال الله، ص٦٩، وانظر_ مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د.ناصر القفاري، ج١/٢٩٠، والشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير، ص٦٦.

٣_ انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د.محمد بن أحمد الخطيب، ص٣٤١، ودراسات في الفرق لصابر طعمية، ص٤٢، والنصيرية، د.سهير الفيل،ص٩٣_١٠٣، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية لسيلمان الأذني، ورسالة النصيرية في كتاب رسائل في الأديان والفرق والمذاهب للكاتب.

١١_ الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي، وغلوهم فيه، ووصفِه بأوصافٍ لا تليق إلا بالله وحده، كقولهم عنه: «إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»(١).

١٢_ من يعتقدون تأثير النجوم والكواكب والأسماء: وذلك كحال الذين يتتبعون الأبراج ويقولون _رجماً بالغيب_ إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو الشهر الفلاني أو اليوم الفلاني، أو كان اسمه يبدأ بحرف كذا أو كذا _ فسيصيبه كذا وكذا، ويضعون عليها دعاياتٍ تقول: مِنْ شهر ميلادك تعرف حظك، أو من اسمك تعرف حظك.

كل ذلك شرك في الربوبية؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيبِ، والغيبُ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له.

١٣_ القانونيون: الذين يَصدون ويصدفون عن شرع الله، والذين يحكمون الناس بالقوانين الوضعية، التي هي من نحاتة أفكارهم، وزبالة أذهانهم.

فهؤلاء محاربون لله، منازعون له في ربوبيته وحكمه وشرعه (٢).

١_ انظر عقيدة الدروز، عرض ونقض د.محمد بن أحمد الخطيب، ص١١٧، وانظر الحركات الباطنية، ص٢٣٣_٢٣٨.

٢_ انظر رسالة تحكيم القوانين لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله .

المبحث الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات، وأهميته، وثمراته

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات

١_ هو: الإيمان بما وصف الله به نفسَه في كتابه، أو وَصَفَه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت على الوجه اللائق به _سبحانه وتعالى_[١].

٢_ أو هو: اعتقاد انفراد الله _عز وجل_ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال.

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة[٢].

٣_ وعرفه الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله **بتعريف جامع حيث قال:** «توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد انفراد الرب _جل جلاله_ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال، والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه.

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء، والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق

١_ انظر أعلام السنة المنشورة، للشيخ حافظ الحكمي، ص٥٦.

٢_ انظر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز السلمان، ص٤١_٤٢.

بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل.

ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب ومن كل ما ينافي كماله»[١].

ثانياً: أهمية توحيد الأسماء والصفات

للعلم بتوحيد الأسماء والصفات والإيمان به أهمية عظيمة، ومما يدل على أهميته مايلي:

١ـ أن الإيمان به داخل في الإيمان بالله ـعز وجلـ إذ لا يستقيم الإيمان بالله حتى يؤمن العبد بأسماء الله وصفاته.

٢ـ أن معرفة توحيد الأسماء والصفات والإيمان به كما آمن السلف الصالح عبادة لله ـعز وجلـ فالله أمرنا بذلك، وطاعته واجبة.

٣ـ الإيمان به كما آمن السلف الصالح طريق سلامة من الانحراف والزلل الذي وقع فيه أهل التعطيل، والتمثيل، وغيرهم ممن انحرف في هذا الباب.

٤ـ الإيمان به على الوجه الحقيقي سلامة من وعيد الله، قال ـتعالىـ:[وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (الأعراف: ١٨٠).

٥ـ أن هذا العلم أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق؛ فالاشتغال بفهمه، والبحث فيه اشتغال بأعلى المطالب، وأشرف المواهب.

٦ـ أن أعظم آية في القرآن الكريم هي آية الكرسي، وإنما كانت أعظم آية؛ لاشتمالها على هذا النوع من أنواع التوحيد.

٧ـ أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها أخلصت في وصف الله ـعز وجلـ.

١ـ القول السديد في مقاصد التوحيد ٣/١٠ مجموعة ابن سعدي.

٨_ أن الإيمان بأسماء الله وصفاته يثمر ثمرات عظيمة، وعبودياتٍ متنوعةً، ويتبين لنا شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

ثالثاً: ثمرات الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات

العلم بأسماء الله وصفاته، وتدبرها، وفهمها على مراد الله أهم العلوم وأشرفها كما مر؛ لما يثمره من الثمرات العظيمة النافعة المفيدة.

ولقد اعتنى علماء الإسلام قديماً وحديثاً في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها، فمن الثمرات التي تحصل من جراء الإيمان بها ما يلي:

١_ العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفة الله:

فالله خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، وهذا هو الغاية المطلوبة منهم؛ فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خُلق له، وقبيح بعبد لم تزل نِعَمُ الله عليه متواترة أن يكون جاهلاً بربه، معرضاً عن معرفته.

وإذا شاء العباد أن يعرفوا ربهم فليس لهم سبيل إلى ذلك إلا التعرف عليه من خلال النصوص الواصفةِ له، المصرِّحةِ بأفعاله وأسمائه، كما في آية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الصمد، وغيرها.

٢_ أن معرفة الله تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، وإخلاص العمل له: وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته والتفقه بمعانيها، وأحكامها، ومقتضياتها.

٣_ تزكية النفوس وإقامتها على منهج العبودية للواحد الأحد: فالشريعة

المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريقُ الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلمُ بأسماء الله وصفاته يعصم بإذن الله من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، واستحضر معانيها أثّر ذلك فيه أيما تأثير، وامتلأ قلبه بأجل المعارف والألطاف.

فمثلاً أسماء العظمة تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله.

وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله، وشوقاً إليه، ورغبة بما عنده، وحمداً وشكراً له.

وأسماء العزة، والحكمة، والعلم، والقدرة تملأ القلب خضوعاً لله، وخشوعاً، وانكساراً بين يديه ـ عز وجل ـ.

وأسماء العلم، والخُبْرَة، والإحاطة، والمراقبة، والمشاهدة تملأ القلب مراقبةً لله في الحركات والسكنات وفي الجلوات والخلوات، وحراسةً للخواطر عن الأفكار الرديئة، والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى، واللطف، تملأ القلب افتقاراً، واضطراراً، والتفاتاً إليه في كل وقت وحال.

٤ ـ الانزجار عن المعاصي: ذلك أن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي، فتذكر أن الله يبصرها، فتستحضر هذا المقام، وتذكر وقوفها بين يديه، فتنزجر وترعوي، وتجانب المعصية.

٥ ـ السلامة من الاعتراض والحسد: ذلك أن النفوس طُلَعَة؛ تتطلع وتتشوق إلى ما في أيدي الآخرين، وربما وقع فيها شيء من الاعتراض أو الحسد؛ فعندما

تتذكر أن الله من أسمائه (الحكيم) والحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه عندئذٍ تكف عن حسدها، وتنقدع عن شهواتها، وتنفطم عن غيّها، وتنأى عن اعتراضها.

٦ـ انفتاح أبواب الأمل: ذلك أن العبد يقع في المعصية، فتضيق عليه الأرض بما رَحُبت، ويأتيه الشيطان؛ ليجعله يسيء ظنه بربه، فيتذكر الإنسان أن من أسماء الله (الرحيم، التواب، الغفور) فلا يتمادى في خطيئته، بل يترع عنها، ويتوب إلى ربه، ويستغفره فيجده غفوراً تواباً رحيماً.

ثم إن العبد تتناوشه المصائب، والمكاره، فيلجأ إلى الركن الركين، والحصن الحصين، فيذهب عنه الجزع والهلع، وتنفتح له أبواب الأمل.

ويقارع الأشرار، وأعداء دين الله من الكفار والفجار، فيجدُّون في عداوته، وأذيته، ومنع الرزق عنه، وقصم عمره، فيعلم أن الأرزاق والأعمار بيد الله وحده، وذلك يُثمر له الشجاعة، وعبودية التوكل على الله ظاهراً وباطناً.

وتصيبه الأمراض، وربما استعصت وعزَّ علاجها، وربما استبد به الألم، ودب اليأس إلى قلبه، وذهب به كل مذهب، حينئذٍ يتذكر أن الله هو الشافي، فيرفع يديه إليه، ويسأله الشفاء، فتنفتح له أبواب الأمل، وربما شفاه الله من مرضه، أو صرف عنه ما هو أعظم، أو عوضه عن ذلك صبراً وثباتاً ويقيناً هو عند العبد أفضل من الشفاء.

٧ـ أن العلم به ـتعالى ـ أصل الأشياء كلها: حتى إن العارف به حقيقة المعرفة يستدل بما علم من صفاته وأفعاله على ما يفعله ويشرعه من الأحكام؛ لأنه لا يفعل إلا ما هو مقتضى أسمائه وصفاته؛ فأفعاله دائرة بين العدل، والفضل، والرحمة، والحكمة.

ومن فُتِحَ له هذا الباب باب الأسماء والصفات فُتِحَ له باب التوحيد الخالص، الذي لا يحصل إلا للكُمّل من الموحدين.

٨_ زيادة الإيمان: فالعلم بأسماء الله وصفاته من أعظم أسباب زيادة الإيمان، وذلك لما يورثه في قلوب العابدين من المحبة، والإنابة، والإخبات، والتقديس، والتعظيم للباري _جل وعلا_ [وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ] (محمد:١٧).

٩_ أن من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة، قال النبي ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»[١][٢].

هذا وسيأتي معنى إحصائها عند الحديث عن قواعد في الأسماء.

١_ رواه البخاري، كتاب الدعوات (٦٤١٠)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء (٢٦٧٧).

٢_ انظر كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن مندة تحقيق الشيخ د. علي الفقيهي، ١٨/٢_١٩ والتفسير القيم لابن القيم ص٢٤_٣٧، ومفتاح دار السعادة لابن القيم ٩٠/٢_٩١، والصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق د. أحمد الغامدي ود.علي الفقيهي ٥٩/١_٦٢، وطريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٨٢_٨٥، والقول السديد لابن سعدي ص١٦١_١٦٣، والأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، د. عمر الأشقر ص١٨_٣٩، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للشيخ عبد الرزاق العباد، ص١٠٠_١٠١، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للشيخ محمد الحمود.

المبحث الثاني: طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته

أهل السنة والجماعة هم الذين اجتمعوا على الأخذ بسنة النبي ﷺ والعمل بها ظاهراً وباطناً في القول والعمل والاعتقاد.

وطريقتهم في أسماء الله وصفاته كما يأتي:

١ـ في الإثبات: يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

٢ـ في النفي: ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله ـتعالىـ إذ إن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب؛ فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله ـتعالىـ لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها؛ وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا كان متضمناً لصفة ثبوتية يُحمد عليها كما في قوله ـتعالىـ: [لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ] (البقرة: ٢٥٥)، وقوله: [وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ] (ق: ٣٨).

فالله ـسبحانه وتعالىـ في آية الكرسي نفي عن نفسه (السنة والنوم) لكمال حياته وقيوميته، وفي الآية الثانية نفى نفسه (اللغوب) وهو التعب؛ لكمال قوته وقدرته، فالنفي هنا متضمن لصفة كمال.

أما النفي المحض فليس بكمال، وقد يكون سببه العجز أو الضعف كما في قول الشاعر النجاشي يهجو بني العجلان:

قُبَيِّلَــــــةٌ لا يغـــــــدرون بذمــــــة ولا يظلمــون النــاس حبــة خــردل(١)

فنفى عنهم الظلم لا لمدحهم، ولكن لذمهم؛ لأنهم عاجزون عنه أصلاً.

وكذلك قول الآخر:

لكــن قــومي وإن كــانوا ذوي عُــدَدٍ ليسوا مــن الشــر في شــيء وإن هانــا

فهو لا يمدحهم لقلة شرهم، ولكنه يذمهم لعجزهم، ولهذا قال في البيت الذي بعده:

فليـــت لي بهـــم قومـــاً إذا ركبـــوا شـــنوا الإغـــارة فرســـانا وركبانـــا

وقد يكون سببُ النفيِ عدمَ القابليةِ؛ فلا يقتضي مدحاً، كما لو قلت: (الجدار لا يظلم).

ومن هنا يتبين لنا أن النفي المحض لا يدل على الكمال إلا إذا تضمن إثبات كمال الضد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم، والممتنع.

والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال»(٢).

٣_التوقف: وذلك فيما لم يرد إثباته أو نفيه مما تنازع الناس فيه كالجسم مثلاً، والحيز، والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا

١_ البيت للنجاشي أحد بني الحارث بن كعب. انظر الحماسة الشجرية ٤٥٢ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص٣٣٠_٣٣١.

٢_ مجموع الفتاوى ٣/٣٥.

ينفونه، لعدم ورود النص بذلك.

أما معناه فيستفصلون عنه، فإن أُريد به معنى باطل يُنَزَّهُ الله عنه رَدَّوه، وإن أُريد به معنىً حقٌّ لا يمتنع على الله قبلوه.

فلفظة «الجسم» مثلاً يتوقفون في اللفظ، أما المعنى فيستفصلون، فإن أُريد به الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الآخر فهذا ممتنع على الرب الحي القيوم.

وإن أُريد بالجسم ما يقوم بنفسه، ويتصف به بما يليق به فهذا غير ممتنع على الله؛ فإنه سبحانه قائم بنفسه، متصف بالصفات الكاملة التي تليق به.

وكذلك الحال بالنسبة «للجهة» يتوقفون في اللفظة، أما المعنى فإن أُريد بها جهة سُفْلٍ فإن الله منزّه عن ذلك، وإن أُريد جهة علو تُحيط به فهذا ممتنع أيضاً، وإن أُريد بها أن الله في جهة، أَيْ في جهةِ علوٍّ لا تُحيط به فهذا ثابت لله، وهكذا شأنهم في الألفاظ المجملة كما سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الألفاظ المجملة [1].

١_ انظر التوحيد لابن مندة ١٠٢/٢ ومنهاج السنة لابن تيمية ١٠٥/٢ و١٠٩_١١١ و١٣٢ و١٩٢ و١٩٨ و٥٥٤_٥٥٦، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/٣_٤٠ و٢٦/٥ وانظر فتح ربِّ البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن عثيمين ١٢_١٥.

المبحث الثالث: الأدلة على صحة مذهب السلف

طريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة هي الطريقة الواجبة في أسماء الله وصفاته، وهي الأسلم والأعلم والأحكم، وليس هناك طريقة أخرى صحيحة في هذا الباب باب الأسماء والصفات إلا طريقتهم في إثباتها وإمرارها كما جاءت، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة منها(1):

١ـ أن طريقة السلف دل عليها الكتاب والسنة: فمن أدلة الكتاب قوله ـتعالىـ: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (الأعراف:١٨٠).

وقوله: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ] (الشورى:١١).

وقوله: [وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] (الإسراء:٣٦).

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل؛ لأنهما من الإلحاد في أسمائه ـعز وجلـ.

والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التمثيل.

والآية الثالثة: دلت على وجوب نفي الكيفية، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته ولا نفيه.

أما من السنة فالأدلة كثيرة منها قوله ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك**

١ـ انظر منهاج السنة ٥٦١/٢، وفتح ربِّ البرية، ص١٩ـ٢٤، والأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة ص٢١٣ـ٢٢١، ودعوة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص١٩ـ٢٤.

شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء[1]».

٢ـ العقل: فالعقل يدل على صحة مذهب السلف، ووجه دلالته أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع على الله لا يُدْرَك إلا بالسمع ـالكتاب والسنةـ فوجب اتباع السمع في ذلك، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

٣ـ الفطرة: أما دلالة الفطرة على صحة مذهب السلف فلأنَّ النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال، منزه عن صفات النقص؟

٤ـ مطابقتها للكتاب والسنة: فمن تتبع طريقة السلف بعلم وعدل وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً؛ ذلك لأن الله أنزل الكتاب؛ ليدّبر الناس آياته، ويعملوا بها إن كانت أحكاماً، ويصدقوا بها إن كانت أخباراً.

٥ـ أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين هم ورثة الأنبياء والمرسلين: فقد تلقوا علومهم من ينبوع الرسالة الإلهية؛ فالقرآن نزل بِلُغَةِ الصحابة، وفي عصرهم، وهم أقرب الناس إلى معين النبوة الصافي، وهم أصفاهم قريحةً، وأقلهم تكلفاً، كيف وقد زكاهم الله في محكم تنزيله، وأثنى عليهم، وعلى التابعين لهم بإحسان ـكما قال تعالىـ: [وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

١ـ رواه مسلم برقم (٢٧١٣).

تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ](التوبة: ١٠٠).

وقد هدد رب العزة الذين يتبعون غير سبيلهم بالعذاب الأليم فقال _عز وجل_: [وَمَنْ يُشَاقِقْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً](النساء: ١١٥).

ولا ريب أن سبيل المؤمنين هو سبيل الصحابة من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان.

فإذا كان الأمر كذلك فمن المحال أن يكون خير الناس، وأفضل القرون قد قصروا في هذا الباب بزيادة أو نقصان.

٦_ أن صفوة أولياء الله _تعالى_ الذين لهم لسان صدق من سلف الأمة وخلفها هم على مذهب أهل السنة والجماعة، أهل الإثبات للأسماء والصفات، وهم أبعد الناس عن مذاهب أهل الإلحاد[1].

٧_ تناقض علماء الكلام وحيرتهم واضطرابهم: فهذا مما يدل على صحة مذهب السلف؛ فلو كان مذهب الخلف حقّاً لما تناقضوا، ولما اضطربوا، ولما تحيروا وحيروا.

٨_ رجوع كثير من أئمة الكلام إلى الحق وإلى مذهب السلف: فهناك من أرباب علم الكلام الذين بلغوا الغاية فيه رجعوا إلى مذهب السلف، وتبرؤا من علم الكلام، وأعلنوا توبتهم منه، فهذا الرازي أحد أكابر أئمة علم الكلام ينوح على نفسه، ويبكي عليها، ويقول:

١_ انظر درء تعارض العقل لابن تيمية ٧/٥.

نهايـــةُ إقـــدامِ العقـــولِ عقـــالُ وأكثـــر ســـعي العـــالمين ضـــلال
وأرواحنـــا في وحشـــةٍ مـــن جســـومنا وغايـــة دنيانـــا أذى ووبـــال
ولم نَسْـتَفِدْ مـن بحثنـا طـول عمرنـا ســوى أن جمعنــا فيــه قيــل وقــالُ
وكم قــد رأينــا مــن رجــال ودولــة فبــادوا جميعــاً مســرعين وزالــوا
وكم مــن جبــال قــد عــلا شــرفاتِها رجــال فزالــوا والجبــال جبــال

وقال ابن الصلاح: «أخبرني القطب الطوغائي مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم اشتغل بعلم الكلام، وبكى».

وقد اعترف أكثر المتكلمين بالوقوع بالحيرة، والأمور المشكلة المتعارضة، فقال ابن أبي الحديد وهو من كبراء المعتزلة بعد عظيم توغله في علم الكلام:

فإذا الــذي اســتكثرت منــه هــو الــ ـــجاني علـــى عظـــائم المحـــن
فظللـــت في تيـــه بـــلا عَلَـــم وغرقـــت في بحـــر بـــلا ســـفن

ومن الذين خاضوا في علم الكلام ورجعوا إلى منهج السلف أبو المعالي الجويني، والخسر وشاهي، وأبو حامد الغزالي[1].

ومن المتأخرين الذين خاضوا في علم الكلام، ولم يرجعوا منه بفائدة، بل وقعوا في الحيرة الإمام الشوكاني رحمه الله فإنه حدَّث عن نفسه فقال: «ها أنا أخبرك عن نفسي، وأوضح لك ما وقعت فيه أمس؛ فإني في أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سمّوه تارة علم الكلام، وتارة علم التوحيد، وتارة علم أصول الدين، وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم، ورُمْت الرجوع بفائدة،

١_ انظر مجموع الفتاوى ٧٢/٤_٧٥، و١٠/٥_١١، ودرء تعارض العقل والنقل ١٥٩/١_١٦٢، وكتاب الصفدية لابن تيمية ٢٩٢/١_٢٩٥، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٠٨_٢١٠ والتحف في مذاهب السلف للشوكاني ص٣٤_٤٤، والكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبدالعزيز السلمان ص٥١١_٥١٤، والأسماء والصفات د. عمر الأشقر ص٢١٠_٢٢٢.

والعود بعائدة، فلم أظفر بغير الخيبة والحيرة، وكان ذلك من الأسباب التي حبّبت إليّ مذهب السلف على أني كنت قبل ذلك عليه، ولكن أردت أن أزداد منه بصيرة وبه شغفاً، وقلت عند ذلك في تلك المذاهب:

وغايةُ ما حصّلته من مباحثي ومن نظري من بعد طول التَّبَصُّر
هو الوقف ما بين الطريقين حيرة فما علم من لم يلق غير التحير
على أنني قد خضت منه غماره وما قنعت نفسي بغير التبحر[1]

وبهذا يتبين لنا صحة مذهب السلف في باب الأسماء والصفات.

١_ التحف في مذاهب السلف ص٣٧_٣٨.

المبحث الأول: قواعد في أسماء الله ـــــ عز وجل ـــــ [١]

القاعدة الأولى: **أسماء الله ـتعالى ـ كلها حسنى:**

أي بالغة في الحسن غايته، قال الله ـتعالى ـ: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] (الأعراف: ١٨٠).

وذلك لأنها متضمنة لصفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً؛ ذلك أن الألفاظ إما أن تدل على معنى ناقص نقصاً مطلقاً؛ فهذه يتره الله عنها، وإما أن تدل على غاية الكمال؛ فهذه هي الدالة على أسماء الله وصفاته، وإما أن تدل على كمال لكنه يحتمل النقص فهذا لا يُسمّى الله به، لكن يُخبر به عنه، مثل: المتكلم، الشائي.

كذلك ما يدل على نقص من وجه وكمال من وجه لا يُسمّى الله به، لكن يُخبر به عن الله مثل: الماكر.

ومثال الأسماء الحسنى (الحي) وهو اسم من أسماء الله متضمن للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وغيرها.

ومثال آخر (العليم) من أسماء الله متضمن للعلم الكامل، الذي لم يُسبق

---

١ ـ انظر مجموع الفتاوى ٧١/٦، وكتاب التوحيد لابن مندة ٢٧/٢، وبدائع الفوائد لابن القيم ١٥٩/١ـ ١٧٠، وتوضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص١٣٢، والحق الواضح المبين لابن سعدي ص١٠٨، والقواعد المثلى للشخ محمد بن عثيمين ص٩ـ ٢٦، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان ٧٥/١ـ ٧٧ وشرح كتاب التوحيد ص١٢ـ ٢٢١ ودعوة التوحيد ص١٢ـ ١٤، ومعارج القبول للحكمي ٧١/١.

بجهل، ولا يلحقه نسيان.

قال الله ـ تعالى ـ: [قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى] (طه:٥٢).

العلم الواسع بكل شيء جملة وتفصيلاً، سواء ما يتعلق بأفعاله أو أفعال العباد.

وقل مثل ذلك في السميع، والبصير، والرحمن، والعزيز، والحكيم وغيرها من الأسماء الحسنى.

القاعدة الثانية: **أسماء الله ـ تعالى ـ أعلام وأوصاف:**

أعلام باعتبار دلالتها على الذات، **وأوصاف** باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول مترادفة؛ لدلالتها على مسمى واحد وهو الله ـ عز وجل ـ.

وبالاعتبار الثاني متباينة؛ لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص؛ فمثلاً (الحي، القدير، السميع، البصير، الرحيم، العزيز، الحكيم) كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ لكن معنى (الحي) غير معنى (العليم) ومعنى (العليم) غير معنى (القدير) وهكذا...

القاعدة الثالثة: **أسماء الله ـ تعالى ـ إن دلت على وصفٍ متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:**

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها ذلك الاسم لله ـ عز وجل ـ.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها ـ أي الأسماء ـ.

مثال ذلك (السميع) فهو يتضمن إثبات (السميع) اسماً لله _تعالى_ وإثبات (السمع) صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، والعلانية، كما قال _تعالى_: [وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] (المجادلة: ١).

وقل مثل ذلك في العليم والرحيم، وغيرها من الأسماء المتعدية.

وإن دلت على وصفٍ لازمٍ غير متعدٍ تضمن أمرين:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله _عز وجل_.

مثل اسم (الحي) فهو يتضمن إثبات اسم (الحي) لله _عز وجل_ وإثبات (الحياة) صفة له، ومثل ذلك اسم (العظيم والجليل).

القاعدة الرابعة: **دلالة أسماء الله _تعالى_ على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.**

فمعنى دلالة المطابقة: تفسير الاسم بجميع مدلوله، أو دلالته على جميع معناه.

ومعنى دلالة التضمن: تفسير الاسم ببعض مدلوله، أو بجزء معناه.

ومعنى دلالة الالتزام: الاستدلال بالاسم على غيره من الأسماء التي يتوقف هذا الاسم عليها، أو على لازم خارج عنها.

مثال ذلك: (الخالق) يدل على ذات الله، وعلى صفة (الخلق) بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي (العلم والقدرة) بالالتزام.

وذلك لأن الخالق لا يمكن أن يخلق إلا وهو قادر، وكذلك لا يمكن أن يخلق

إلا وهو عالم[1].

القاعدة الخامسة: **أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها:**

ومعنى ذلك أن نتوقف على ما جاء في الكتاب والسنّة، فلا نسمّي الله _تعالى_ إلا بما سمَّى به نفسه، أو سمّاه به رسوله ﷺ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله _تعالى_ من الأسماء.

١_ هذه الأنواع الثلاثة تسمى أنوع الدلالة اللفظية الوضعية.

وإليك بعض التفصيل في هذه الأنواع زيادة على ما مضى؛ لتتضح بصورة أجلى.

١_ الدلالة المطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له، وذلك مثل دلالة لفظ (البيت) على الجدار والسقف معاً.

ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم (العليم) على ذات الله وعلمه، أي دلالة الاسم على المسمى، والصفة المشتقة من الاسم نفسه.

وسميت مطابقية؛ لتطابق اللفظ والمعنى، وتوافقهما في الدلالة.

٢_ الدلالة التضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.

مثل دلالة البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده.

وسميت تضمنية؛ لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل، أي في داخله.

ومن هذا النوع مثلاً دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال الجزء والكل، بل يقال على الصفة والموصوف.

٣_ الدلالة الالتزامية: هي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له.

مثل دلالة اسم الله (القدير) على صفة الحياة، وعلى العلم وغيرهما من صفات الله _تعالى_.

يقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق؛ فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.

انظر المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم د. عوض الله جاد حجازي، والصفات الإلهية د.محمد أمان ص١٧٨_١٧٩.

وتسميتهُ ـتعالىـ بما لم يسمِّ به نفسه، أو إنكار ما سَمَّى به نفسه جنايةٌ في حقه ـتعالىـ فوجب سلوك الأدب، والوقوف مع النص.

القاعدة السادسة: **أسماء الله غير محصورة بعدد معين:**

لقولهﷺ في الحديث المشهور: «**أسألك بكل اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»(١).

وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحداً حَصْرُه، ولا الإحاطة به.

قال ابن القيم رحمه الله في قوله ﷺ: «**استأثرت به**»: «أي انفردت بعلمه، وليس المراد انفراده بالتسمي به؛ لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه»(٢).

وأما قوله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة**»(٣) فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة «إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من **أحصاها** دخل الجنة».

قال ابن القيم رحمه الله في بيان مراتب إحصاء أسماء الله التي من أحصاها دخل الجنة:

«**المرتبة الأولى**: إحصاء ألفاظها وعددها.

١ـ رواه أحمد ٣٩٤/١، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).
٢ـ بدائع الفوائد ١٦٦/١.
٣ـ سبق تخريجه.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال _تعالى_: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا](الأعراف: ١٨٠).

وهو مرتبتان، إحداها: دعاء ثناء وعبادة، والثاني: دعاء طلب ومسألة»[١].

القاعدة السابعة: **أن من أسماء الله _تعالى_ ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره، ومنها ما لا يطلق إلا مقترناً بمُقابله:**

فغالب الأسماء يطلق مفرداً ومقترناً بغيره من الأسماء، كالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحليم.

فهذه الأسماء وما جرى مجراها يسوغ أن يدعى بها مفردة، ومقترنة بغيرها، فنقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم.

أو أن يفرد كل اسم على حِدَةٍ فنقول: يا حليم، أو يا غفور، أو يا عزيز وهكذا...

ومن الأسماء ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقروناً بمقابله، كالمانع، والضار، والمنتقم، والمذل.

فلا يسوغ أن يفرد هذا عن مقابله؛ فإنه مقرون بالمعطي، والنافع والعَفُو والمعز؛ فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرف فيهم عطاءً ومنعاً، ونفعاً وضراً، وعفواً وانتقاماً، وعزّاً وذلاً.

١_ بدائع الفوائد ١/١٦٤.

وأما أن يُثنى عليه بمجرد المنع، والانتقام، والإضرار فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تُجرى الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصلُ بعضِ حروفِه عن بعض؛ فهي ـ وإن تعددت ـ جاريةٌ مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجيء مفردة، ولم تُطلق عليه إلا مقترنة؛ فلو قلت: يا مذل، يا ضار، يا مانع، وأخبرت بذلك ـ لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها.

المبحث الثاني: قواعد في صفات الله ـــــ تعالى ـــــ [1]

القاعدة الأولى: **صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه:** كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك، وقد دل على هذا: السمعُ والعقلُ، والفطرة.

أما السمع فمنه قوله تعالى: [لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى](النحل: ٦٠).

والمثل الأعلى: الوصف الأعلى الكامل.

وأما العقل فوجهه: أن كل موجود حقيقةً لابد أن تكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، فتعين الأول.

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفاتِ كمالٍ، ومُعْطي الكمالِ أولى به.

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة على محبة الله، وتعظيمه، وعبادته.

وهل تحب، وتعظم، وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

ثم إن من الصفات ما هو كمال على الإطلاق كالصفات السابقة، فهذه ثابتة لله ـتعالىـ.

ومنها ما هو نقص على الإطلاق فهذه منفية عن الله، كالجهل، والعمى،

١ـ انظر بدائع الفوائد ١/١٥٩ـ١٧٠، القواعد المثلى ص٢٧ـ٣٨، والشيخ عبدالرحمن بن سعدي في توضيح العقيدة ص١١٢ـ١٢٥، ودعوة التوحيد ١٤ـ١٩.

والصمم.

ومنها ما هو كمال من وجه ونقص من وجه، فهذه يوصف الله بها في حال كمالها، ويمتنع وصفه بها في حال نقصها، بحيث يوصف الله بها وصفاً مقيداً مثل المكر، والكيد والمخادعة.

القاعدة الثانية: **باب الصفات أوسع من باب الأسماء**: وذلك لأن كلَّ اسمٍ متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله، وأفعاله _عز وجل_ لا منتهى لها.

قال تعالى: [وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (لقمان: ٢٧).

ومن أمثلة ذلك أن من صفاتِ اللهِ المجيءَ والأخذَ، والإتيان، والإمساك، والبطش، فيوصف الله بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا يسمى بها، فلا يقال: إن من أسمائه الجائيَ، والآتي، والباطش، والآخذ، والممسك، والنازل، والمريد، ونحو ذلك، وإن كنا نُخبر بذلك عنه، ونصفه به.

القاعدة الثالثة: **صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية: فالثبوتية**: هي ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء، واليدين، والوجه، فيجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، وقد تقدم ذلك في الحديث عن طريقة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته.

وأما السلبية أو المنفية: فهي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ مثل الصمم، والنوم، وغير ذلك من صفات النقص، فيجب نفيها عن

الله ـ كما مر ـ.

القاعدة الرابعة: **الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر:** ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر من الصفات السلبية؛ فالقاعدة في ذلك الإثباتُ المفصلُ، والنفيُ المجملُ؛ فالإثباتُ مقصودٌ لذاته، أما النفي فلم يذكر غالباً إلا على الأحوال التالية:

أ ـ بيان عموم كماله كما في قوله ـ تعالى ـ: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] (الشورى:١١) وقوله [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ] (الإخلاص: ٤).

ب ـ نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون كما في قوله: [أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً] (مريم: ٩١ ـ ٩٢).

ج ـ دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر كما في قوله: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ] (الدخان: ٣٨) وقوله: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ] (ق:٣٨).

ثم إن النفي مع أنه مجمل بالنسبة للإثبات إلا أن فيه تفصيلاً وإجمالاً بالنسبة لنفسه.

فالإجمال في النفي أن يُنْفى عن الله ـ عز وجل ـ كلُّ ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص، كما في قوله ـ تعالى ـ: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] (الشورى:١١).

وقوله: [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً] (مريم:٦٥).

وقوله: [سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ] (الصافات:١٨٠).

وأما التفصيل في النفي فهو أن ينزهَ عن كل واحد من العيوب والنقائص بخصوصه، فَيُنَزهَ عن الولد، والصاحبة، والسِّنة، والنوم، وغير ذلك مما ينزه الله عنه.

القاعدة الخامسة: **الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:**

أ_الذاتية: هي التي لم يزل الله ولا يزال متصفاً بها، وهي التي لا تنفك عنه _سبحانه_ كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والوجه، واليدين.

ب_ الفعلية: وتسمى الصفات الاختيارية، وهي التي تتعلق بمشيئة الله، إن شاء فعلها، وإن لم يشأ لم يفعلها، وتتجدد حسب المشيئة كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية وفعلية باعتبارين، كالكلام؛ فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء.

وكل صفة تعلقت بمشيئته _تعالى_ فإنها تابعة لحكمته، وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها، لكننا نعلم علم اليقين أنه _سبحانه_ لا يشاء شيئاً إلا وهو موافق لحكمته، كما يشير إليه قوله _تعالى_: [وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً] (الإنسان: ٣٠).

القاعدة السادسة: **الصفات الذاتية والفعلية تنقسم إلى قسمين:**

عقلية، وخبرية:

أ_ عقلية: وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي، والدليل

العقلي، والفطرة السليمة.

وهي أغلب صفات الله ـتعالىـ مثل صفة السمع، والبصر، والقوة، والقدرة، وغيرها.

ب ـ خبرية: وتسمى النقلية، والسمعية، وهي التي لا تعرف إلا عن طريق النص؛ فطريق معرفتها النص فقط، مع أن العقل السليم لا ينافيها، مثل صفة اليدين، والنزول إلى السماء الدنيا.

القاعدة السابعة: **صفات الله توقيفية:**

فلا نَصِفُ الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

أ ـ التصريح بالصفة: كالعزة، والقوة، والرحمة، كما في قوله ـتعالىـ: [فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً] (النساء:١٣٩) وقوله: [إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ](الذاريات:٥٨) وقوله: [وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ] (الأنعام:١٣٣).

ب ـ تضمن الاسم لها: كالعزيز والغفور، قال ـتعالىـ: [الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ](الملك: ٢) فالعزيز متضمن لصفة العزة، والغفور متضمن لصفة المغفرة.

ج ـ **التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش، والمجيء قال الله ـتعالىـ:** [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] (طه:٥).

وقال: [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً] (الفجر:٢٢).

القاعدة الثامنة: **المضافات إلى الله إن كانت أعياناً فهي من جملة المخلوقات، وإن كانت أوصافاً فهي من صفات الله:**

وبيان ذلك أن المضافات إلى الله على نوعين:

أ_أعيان قائمة بذاتها مثل: عبدالله، ناقة الله، فهذه من جملة المخلوقات، وإضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق لخالقه، وقد تقتضي تشريفاً مثل: بيت الله، وناقة الله، وقد لا تقتضي تشريفاً مثل: أرض الله، سماء الله.

ب_ أن يكون المضاف أوصافاً غير قائمة بذاتها مثل: سَمْع الله، قدرة الله، بصر الله، فهذه الإضافة تقتضي أن هذه الصفة قائمة بالله، وأن الله متصف بها، وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

القاعدة التاسعة: **القول في بعض الصفات كالقول في بعض:**

وهي قاعدة يُردُّ بها على من فرَّق بين الصفات؛ فأثبت بعضها، ونفى بعضها، فيقال لمن فعل ذلك: أثبتها جميعاً، أو انْفِها جميعاً.

ومن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضها فهو مضطرب متناقض، وتناقض القول دليل على فساده وبطلانه.

القاعدة العاشرة: **القول في الصفات كالقول في الذات:**

وذلك أن الله _سبحانه_ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل الصفات.

القاعدة الحادية عشرة: **ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار:**

فباعتبار المعنى معلومة، وباعتبار الكيفية مجهولة؛ كالاستواء مثلاً، فمعناه معلوم لنا فهو بمعنى العلو، والارتفاع، والصعود، والاستقرار.

أما كيفيته فمجهولة؛ لأن الله أخبرنا بأنه استوى، ولم يخبرنا عن كيفية استوائه، وهكذا يقال في باقي الصفات.

القاعدة الثانية عشرة: **في العلاقة بين الصفات والذات:**

وخلاصة القول في هذه المسألة أن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم؛ فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات، وكذلك العكس؛ فلا يُتَصَوَّر وجودُ ذاتٍ مجردة عن الصفات في الخارج، كما لا يتحقق وجود صفة من الصفات في الخارج إلا وهي قائمة بالذات[1].

القاعدة الثالثة عشرة: **في علاقة الصفات بعضها ببعض من حيث الآثار والمعاني:**

أما بالنسبة لبعضها فقد تكون مترادفة من حيث المعنى أو متقاربة.

مثل المحبة، والرحمة، والفرح، والتعجب، والضحك.

وهناك صفات متقابلة كالرفع والخفض، والظاهرية والباطنية، والنفع والضر، والقبض والبسط.

وهناك صفات متضادة من حيث معانيها، مثل الغضب والسخط مع الرضا، ومثل الكراهية مع الحب، وهكذا. . .

فاتصافه _عز وجل_ بهذه الصفات المزدوجة المأخوذة من أسمائه المتقابلة، وبالصفات المتضادة في معناها على ما تقدم، والمترادفة باعتبار الذات، والمتباينة باعتبار ما بينها في الغالب _ دليل على الكمال الذي لا يشاركه فيه

١_ انظر الصفات الإلهية د. محمد أمان ص٣٤١.

أحد؛ لدلالته على شمول القدرة الباهرة، والحكمة البالغة، والتفرد بشؤون الكون كله[1].

١_ انظر الصفات الإلهية ص٣٤٧_٣٤٩.

المبحث الأول: ما يضاد توحيد الأسماء والصفات

يضاد توحيد الأسماء، والصفات الإلحادُ فيها، ويدخل في الإلحاد التعطيلُ، والتمثيلُ، والتكييف، والتفويض، والتحريف، والتأويل.

أولاً: الإلحاد: الإلحاد في اللغة هو: الميل، ومنه اللحد في القبر، ومنه قول عمرو ابن معدي كرب الزبيدي ــ رضي الله عنه ــ:

كم مِنْ أخٍ كان لي ماجدٍ ... ألحدته في يديَّ الثرى

وقول جرير:

دعوت الملحدين أبا خبيب ... جماحاً هل شفيت من الجماح[1]

ويُقصد بالملحدين: المائلين عن الحق.

أما في الاصطلاح: فهو العدول عما يجب اعتقاده أو عمله[2].

والإلحاد في أسماء الله هو: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها.

أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته[3]:

١ــ أن يُنْكَرَ شيءٌ مما دلت عليه من الصفات كفعل المعطلة.

٢ــ أن تُجعل دالة على تشبيه الله بخلقه، كفعل أهل التمثيل.

٣ــ أن يُسمى اللهُ بما لم يُسمِّ به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية، كتسمية النصارى له (أباً) وتسمية الفلاسفة إياه (علة فاعلة) أو تسميته بـ (مهندس

١ــ ديوان جرير ص٧٤.
٢ــ انظر فتح ربِّ البرية بتخليص الحموية، ص١٨.
٣ــ انظر المرجع السابق، ص١٩.

الكون) أو (العقل المدبر) أو غير ذلك.

٤ـ أن يُشْتَقَّ من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق «اللات» من «الإله» والعُزَّى من «العزيز».

٥ـ وصفه ـ تعالى ـ بما لا يليق به، وبما يتزه عنه، كقول اليهود: إن الله تَعِبَ من خلق السموات والأرض، واستراح يوم السبت، أو قولهم: إن الله فقير.

ثانياً: التعطيل: التعطيل في **اللغة**: مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: [وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ] (الحج: ٤٥)، أي: أهملها أهلها، وتركوا وردها[١].

وفي الاصطلاح: هو إنكار ما يجب لله ـ تعالى ـ من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه، وهو نوعان:

أ ـ **تعطيل كلي**: كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، وغلاتهم ينكرون الأسماء ـ أيضاً ـ.

ب ـ **تعطيل جزئي**: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض، وأول من عُرف بذلك من هذه الأمة الجعد بن درهم[٢].

ثالثاً: التمثيل: هو: إثبات مثيل للشيء، وفي الاصطلاح: اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين، كأن يقول الشخص: لله يدٌ مثل يدي، أو مثل أيدينا.

رابعاً: التكييف: حكاية كيفية الصفة كقول القائل: يد الله أو نزوله إلى

١ـ انظر شرح العقيدة الواسطية، للهراس ص٦٧.
٢ـ انظر فتح البرية، ص١٥ـ١٦.

السماء الدنيا كذا وكذا، أو يده طويلة، أو غير ذلك، أو أن يسأل عن صفات الله بــ: كيف.

خامساً: التفويض: هو الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة لا يعلمها إلا الله[1].

أو هو إثبات الصفات، وتفويض معناها وكيفيتها إلى الله _عز وجل_.

والحق أن الصفات معلومة معانيها، أما كيفيتها فيفوض علمها إلى الله _عز وجل_.

سادساً: التحريف: التحريف لغة: التغيير، وفي الاصطلاح: تغيير النص لفظاً أو معنى.

والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير، فهذه ثلاثة أقسام:

أ_تحريف لفظي يتغير معه المعنى: كتحريف بعضهم قولَه _تعالى_: [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً] (النساء: ١٦٤) إلى نصب لفظ الجلالة؛ ليكون التكليم من موسى _عليه السلام_.

ب_ تحريف لفظي لا يتغير معه المعنى: كفتح الدال من قوله _تعالى_: [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] (الفاتحة: ٢)، وذلك بأن يقول: «الحمدَ لله. . .».

وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل؛ إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالباً.

جــ_ تحريف معنوي: وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل كتحريف معنى «اليدين» المضافتين إلى الله إلى القوة والنعمة ونحو ذلك.

١_ انظر مذهب التفويض في نصوص عرض ونقد د. أحمد القاضي ص٥٦٧.

سابعاً: التأويل: التأويل في اللغة يدور حول عدة معانٍ، منها الرجوع، والعاقبة، والمصير، والتفسير.

أما في الاصطلاح فيطلق على ثلاثة معانٍ، اثنان منهما صحيحان مقبولان معلومان عند السلف، والثالث مبتدع باطل.

وإليك بيان هذه المعاني:

المعنى الأول: التفسير، وهو إيضاح المعنى، وبيانه.

وهذا اصطلاح جمهور المفسرين كابن جرير وغيره، فتراهم يقولون: تأويل هذه الآية كذا وكذا، أي تفسيرها.

الثاني: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء، وهذا هو المعروف من معنى التأويل في الكتاب والسنة، كما قال _تعالى_: [هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ] (الأعراف:٥٣) وقوله: [ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً] (الإسراء: ٣٥)، وقوله عن يوسف _عليه السلام_: [هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ].

الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر.

وهذا ما اصطلح عليه المتأخرون من أهل الكلام وغيرهم.

كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة.

وهذا هو الذي ذمه السلف[١].

---

١ _ انظر تفصيل الحديث عن التأويل عموماً، والتأويل الباطني في كتاب مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل للكاتب ص ١٤_٢٤ و٢٥_٣٩.

المبحث الثاني: الفرق التي ضلت في باب الأسماء والصفات[١]

هناك فرق عديدة ضلت في هذا الباب منها:

١ـ الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، وهم ينكرون الأسماء والصفات.

٢ـ المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وهم يثبتون الأسماء، وينكرون الصفات، معتقدين أن إثباتها يؤدي إلى تعدد القدماء[٢].

٣ـ الأشاعرة: وهم أتباع أبي الحسن الأشعري، وهم يثبتون الأسماء، وبعض الصفات، فقالوا: إن لله سبع صفات عقلية يسمونها «معاني» هي «الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر والكلام» وهي مجموعة في قول القائل:

حـــي علـــيم قـــدير والكـــلام لـــه   إرادة وكـــذك الســـمع والبصـــر

وإثباتهم لهذه الصفات مخالف لطريقة السلف في الجملة[٣].

٤ـ الماتريدية: وهم أتباع أبي منصور الماتريدي، وهم يثبتون الأسماء وبعض الصفات، وإن كان هذا الإثبات مخالفاً لطريقة السلف في الجملة[٤].

٥ـ الممثلة: وهم الذين أثبتوا الصفات، وجعلوها مماثلة لصفات المخلوقين، وقيل إن أول من قال بذلك هو هشام بن الحكم الرافضي.

المبحث الثالث: حكم من نفى صفة من الصفات الثابتة لله

١ـ انظر فتح رب البرية، ص١٥.

٢ـ نظر المعتزلة، وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها د. عواد المعتق، ص٨٤.

٣ـ منهج الأشاعرة في العقيدة، د. سفر الحوالي، ص٦٠.

٤ـ انظر الماتردية دراسة وتقويماً، للشيخ أحمد بن عوض الله الحربي، ص٢٣٤.

هذا الأمر يحتاج إلى تأنٍّ وتريث، ثم تفصيل.

فيقال: إن الذي ينفي صفة من الصفات الثابتة لله بالنصوص القطعية لا يخلو من أحد ثلاثة أحوال.

أولها: أن يكون النافي عالماً بالنص الذي ثبتت به الصفةُ المنفيةُ كتاباً كان أو سنة، ولا توجد لديه شبهات قد تُغَيِّر مفهومَه للنص، وإنما نفى لعناده، وفساد قصده، ومرض قلبه، ومشاقتِّه للرسول من بعد ما تبين له الحق.

فهذا كافر؛ لتكذيبه كلامَ الله، أو كلامَ رسوله ﷺ.

الثاني: أن يكون النافي مجتهداً في طلب الحق، معروفاً بالنصيحة والصدق، ولكنه أخطأ وتأول؛ لجهله بالنص، أو لعدم علمه بالمفهوم الصحيح؛ فحكمه أنه معذور، وخطؤه مغفور؛ لأن نفيه ناتج عن تأويل، لا عن عناد وفساد قصد.

الثالث: أن يكون النافي مُتَّبِعاً لهواه، مقصراً في طلب الحق، متكلماً بلا علم، ولكنه لا يقصد مشاقة الرسول، ولم يتبين له الحق تماماً؛ فحكمه أنه عاصٍ مذنبٌ، وقد يكون فاسقاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقَصَد الحقَّ فأخطأ لم يكفر، بل يغفر له خطؤه.

ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر.

ومن اتبع هواه، وقصَّر في طلب الحق، وتكلم بلا علم فهو عاصٍ مذنب، وقد

يكون فاسقاً، وقد تكون حسناته ترجح على سيئاته؛ فالتكفير يختلف باختلاف حال الشخص؛ فليس كلُّ مخطىء، ولا مبتدعٍ، ولا جاهلٍ، ولا ضالٍ يكون كافراً، بل ولا فاسقاً، بل ولا عاصياً»[١].

وقال رحمه الله: «هذا مع أنني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلى تكفير، وتفسيق ومعصية إلا إذا عُلِم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى.

وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية.

وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يَشْهَدْ أحدٌ منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية».

إلى أن قال: «وكنت أبيِّن أن ما نقل عن السلف، والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول: كذا وكذا فهو أيضاً حق.

لكن يجب التفريق بين الإطلاق، والتعيين»[٢].

١_ مجموع الفتاوى ١٨٠/٢.
٢_ مجموع الفتاوى ٢٢٩/٣.

الفصل الرابع: الكلمات المجملة، وطريقة أهل السنة في التعامل معها

تمهيد

يَرِدُ في كتب العقائد مصطلح (الكلمات المجملة).

فما المقصود بها؟ وما معنى كونها مجملة؟ وما المراد من إطلاقها؟ وما الذي دعى إلى إطلاقها؟ وهل وردت في الكتاب والسنة؟ وما طريقة أهل السنة في التعامل مع هذه الألفاظ؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تكون على النحو التالي:

أ_**المقصود بالكلمات المجملة**: أنها ألفاظ يطلقها أهل التعطيل.

أو: هي مصطلحات أحدثها أهل الكلام.

ب_ **ومعنى كونها مجملة**: أنها تحتمل حقاً وباطلاً.

أو يقال: لأنها ألفاظ مُشتركة بين معانٍ صحيحة، ومعانٍ باطلة. أو يقال لخفاء المراد منها؛ بحيث لا يدرك معنى اللفظ إلا بعد الاستفصال والاستفسار.

ج_ **ومراد أهل التعطيل من إطلاقها**: التوصل إلى نفي الصفات عن الله _تعالى_ بحجة تتريهه عن النقائص.

د_ **والذي دعاهم إلى ذلك**: عجزهم عن مقارعة أهل السنة بالحجة؛ فلجؤوا إلى هذه الطريقة؛ ليخفوا عوارهم، وزيفهم.

هـ_ **وهذه الألفاظ لم ترد لا في الكتاب، ولا في السنة**؛ بل هي من إطلاقات أهل الكلام.

و_ **وطريقة أهل السنة في التعامل مع هذه الكلمات:** أنهم يتوقفون في هذه الألفاظ؛ لأنه لم يرد نفيها ولا إثباتها في الكتاب والسنة؛ فلا يثبتونها، ولا ينفونها.

أما المعنى الذي تحت هذه الألفاظ فإنهم يستفصلون عنه، فإن كان معنى باطلاً يُنَزَّه الله عنه رَدُّوه، وإن كان معنى حقاً لا يمتنع على الله قبلوه، واستعملوا اللفظ الشرعي المناسب للمقام.

وأشهر الألفاظ المجملة وروداً في كتب العقائد ما يلي:

١_ الجهة.

٢_ الحدّ.

٣_ الأعراض.

٤_ الأبعاض أو الأعضاء والأركان والجوارح.

٥_ حلول الحوادث بالله _تعالى_.

٦_ التسلسل.

وسيرد في المباحث التالية دراسة وتحليل لتلك الألفاظ المجملة.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

فغير خافٍ على من عنده أدنى إلمام بعلم العقيدة ما لتوحيد الألوهية من الأهمية؛ فهو توحيد العبادةِ، والعبادةُ هي الغاية المرضية والمحبوبة لله _عز وجل_ وهي الغاية العظمى، والمقصود الأسمى؛ فلأجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وخلقت الجنة والنار.

ثم إن توحيد الألوهية دعوة جميع الأنبياء والمرسلين، ومن اقتفى أثرهم من العلماء، والدعاة والمصلحين.

وفيما يلي من صفحات سيكون الحديث عن توحيد الألوهية، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم توحيد الألوهية.

المبحث الثاني: أهمية توحيد الألوهية، وأدلته، ووقوع الضلال فيه.

المبحث الثالث: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية.

المبحث الرابع: طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: مفهوم العبادة.

المبحث السادس: شروط قبول العبادة، وأهمية ذلك.

المبحث السابع: أركان العبادة، وحكم تغليب بعضها على بعض.

هذا ما تيسر جمعه وتقييده في هذا الباب؛ فأسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته

العلى أن ينفع بهذه الصفحات، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

والله أعلم،وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

المبحث الأول: مفهوم توحيد الألوهية

أولاً: تعريف توحيد الألوهية

عرف العلماء توحيد الألوهية بتعريفات متقاربة، إلا أن بعضها قد يكون أطول من بعض، فمن تلك التعريفات ما يلي:

١_ هو إفراد الله بأفعال العباد.

٢_ هو إفراد الله بالعبادة.

٣_ هو إفراد الله _تعالى_ بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولاً، وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله _تعالى_ كائناً من كان[1].

٤_ وعرفه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله بتعريف جامع ذكر فيه حدَّه، وتفسيره، وأركانه، فقال: «فأما حدُّه، وتفسيره، وأركانه فهو أن يعلم، ويعترف على وجه العلم، واليقين أن الله هو المألوه وحده المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله _تعالى_.

فإذا عرف ذلك واعترف به حقّاً أفرده بالعبادة كلها: الظاهرة، والباطنة؛ فيقوم بشرائع الإسلام الظاهرة: كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والقيام

١_ انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنصورة للشيخ حافظ الحكمي، ص٥١.

بحقوق الله، وحقوق خلقه.

ويقوم بأصول الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره لله.

لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربِّه، وطلب ثوابه، متابعاً في ذلك رسول الله ﷺ.

فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله وأفعاله ما شرعه الله ورسوله، وأخلاقه، وآدابه الاقتداءُ بنبيه ﷺ في هديه، وسمته، وكل أحواله»[1].

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله عن هذا النوع في منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد:

هـــذا وثـــانِيْ نـــوعي التوحيـــدِ إفـــرادُ ربِّ العـــرش عـــن نديـــد
أن تعبـــد اللهَ إلهـــاً واحـــداً معترفـــاً بحقـــه لا جاحـــدا[2]

ثانياً: أسماء توحيد الألوهية

توحيد الألوهية يسمى بعدة أسماء منها:

١_ **توحيد الألوهية** _كما مر_ وسمي بذلك باعتبار إضافته إلى الله، أو باعتبار الموحَّد، ولأنه مبني على إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة.

١_ انظر الحق الواضح المبين لابن سعدي ١١٢_١١٣، والفتاوى السعدية لابن سعدي ص١٠_١١، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في العقيدة د. عبدالرزاق العباد البدر ١٥١_١٥٢.

٢_ سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ الحكمي ص٢٩.

٢ـ **توحيد العبادة**؛ باعتبار إضافته إلى الموحِّد وهو العبد، ولتضمنه إخلاص العبادة لله وحده.

٣ـ **توحيد الإرادة**؛ لتضمنه الإخلاص، وتوحيد الإرادة والمراد، فهو مبني على إرادة وجه الله بالأعمال.

٤ـ **توحيد القصد**؛ لأنه مبنيٌّ على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.

٥ـ **التوحيد الطلبي**؛ لتضمنه الطلب، والدعاء من العبد لله.

٦ـ **التوحيد الفعلي**؛ لتضمنه أفعالَ القلوب والجوارح.

٧ـ **توحيد العمل**؛ لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده(١).

ثالثاً: أركان توحيد الألوهية

توحيد الألوهية يقوم على أركان ثلاثة هي:

١ـ توحيد الإخلاص: ويسمى توحيد المراد، فلا يكون للعبد مرادٌ غير مراد واحد وهو الله ـسبحانه وتعالىـ فلا يزاحمه مرادٌ آخر.

٢ـ توحيد الصدق: ويسمى توحيد إرادة العبد، وذلك بأن يبذل جهده وطاقته في عبادة ربه.

٣ـ توحيد الطريق: وهو المتابعة للرسول ﷺ.

١ـ انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان ابن عبدالله ص٣٨.

قال ابن القيم رحمه الله:

فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ أعني سبيل الحق والإيمان

فقوله: (فلواحدٍ): أي لله، وهذا هو توحيد المراد.

وقوله: (كن واحداً): في عزمك، وصدقك، وإرادتك، وهذا هو توحيد الإرادة.

وقوله (في واحد): هو متابعة الرسول ﷺ الذي هو طريق الحق والإيمان، فهذا هو توحيد الطريق[1].

والأدلة على هذه الأركان الثلاثة كثيرة، فمن أدلة الإخلاص قوله _تعالى_:[وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ](البينة: ٥).

ودليل الصدق قوله _تعالى_:[فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ](محمد: ٢١)، وقوله:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ] (التوبة: ١١٩)، ودليل المتابعة قوله _تعالى_: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ] (آل عمران: ٣١).

فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص كمال العبد إلا بنقص واحد من هذه الأشياء[2].

١_ انظر: شرح القصيدة النونية لابن القيم، شرح الشيخ محمد خليل هراس ١٣٤/٢.

٢_ انظر الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص١٥٢، والأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان ص٤٢_٤٣.

المبحث الثاني: أهمية توحيد الألوهية، وأدلته، ووقوع الضلال فيه

أولاً: أهمية توحيد الألوهية

لتوحيد الألوهية أهمية عظمى، وتتجلى تلك الأهمية في أمور منها:

١_ **أن توحيد الألوهية أهم أنواع التوحيد:** فمن أجل تحقيقه أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وسلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين.

يقول الشيخ حافظ الحكمي عن أهميته في منظومته:

وهو الذي به الإله أرْسلا ... رسْلَه يدعون إليه أولا

وأنزل الكتابَ والتبيانا ... من أجله وفرَّق الفرقانا

وكلف الله الرسولَ المجتبى ... قتالَ مَنْ عَنْهُ تولى وأبى

حتى يكونَ الدينُ خالصاً له ... سرًّا وجهراً دقَّه وجلَّه

وهكذا أمته قد كلفوا ... بذا وفي نص الكتاب وصفوا[١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً أهمية توحيد العبادة: «وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها _كما قال الله تعالى_:[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ](الذاريات: ٥٦).

وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: [اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ](الأعراف: ٥٩).

إلى أن قال رحمه الله: «وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال _تعالى_: [وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ

١_ سلم الوصول ص٢٩_٣٠.

(١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠)] (الأنبياء).

وذم المستكبرين عنها بقوله:[وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] (غافر: ٦٠).

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال _تعالى_:[عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً] (الإنسان:٦).

وقال:[وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً](الفرقان: ٦٣)»[1].

وقال رحمه الله في موطن آخر: «واعلم أن فقر العبد إلى الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس عليه، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الطعام والشراب، وبينهما فروق كثيرة.

فإن حقيقةَ العبدِ قلبُه وروحُه، وهي لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن بالدنيا إلا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولابد لها من لقائه.

ولا صلاح لها إلا بلقائه، ولو حصل للعبد لذاتٌ أو سرورٌ بغير الله فلا يدوم ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت وفي بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الذي يتنعم به والتذ _ غير منعمٍ ولا ملتذٍ له، بل قد يؤذيه اتصالُه به، ووجوده عنده، ويضره ذلك.

وأما إلهه فلابد له منه في كل حال، وكل وقت، وأينما كان فهو معه، ولهذا قال إمامنا إبراهيم الخليل ﷺ :[لا أُحِبُّ الآفِلِينَ](الأنعام: ٧٦).

وكان أعظم آية في القرآن الكريم:[اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] (البقرة:

١_ العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٩_٤٠.

٢٥٥)»[1].

وقال رحمه الله: «فليس في الكائنات ما يسكن العبد إليه، ويطمئن به، ويتنعم بالتوجه إليه إلا الله _سبحانه_.

ومن عبد غير الله وإن أحبه، وحصل به مودة في الحياة الدنيا، ونوع من اللذة_ فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ آكل الطعام المسموم»[2].

وقال رحمه الله: «واعلم أن كل من أحب شيئاً لغير الله فلا بد أن يضره محبوبه، ويكون ذلك سبباً لعذابه»[3].

وقال: «فمن أحب شيئاً لغير الله فالضرر حاصل له إن وجد أو فقد، فإن فقد عُذِّب بالفراق وتألم، وإن وجد فإنه يحصل له من الألم أكثرُ مما يحصل له من اللذة، وهذا أمر معلوم بالاعتبار بالاستقراء.

وكل من أحب شيئاً دون الله لغير الله فإن مضرته أكثرُ من نفعه؛ فصارت المخلوقات وبالاً عليه، إلا ما كان لله وفي الله؛ فإنه كمال وجمال للعبد.

وهذا معنى ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه**»[4][5].

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله مبيناً أهمية هذا النوع: «وهذا الأصل أعظم الأصول على الإطلاق، وأكملها، وأفضلها، وأوجبها، وألزمها لصلاح

١_ مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/٢٤_٢٥.
٢_ مجموع الفتاوى ١/٢٤.
٣_ مجموع الفتاوى ١/٢٨.
٤_ مجموع الفتاوى ١/٢٩.
٥_ أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) و قال الترمذي: «حسن غريب» وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤١٤).

الإنسانية، وهو الذي خلق الله الجنَّ والإنسَ لأجله، وخلق المخلوقات، وشرع الشرائعَ لقيامه.

وبوجوده يكون الصلاح، وبفقده يكون الشر والفساد، وجميع الآيات القرآنية إما أمر بحق من حقوقه، أو نهي عن ضده، أو إقامة حجة عليه، أو بيان جزاء أهله في الدنيا والآخرة، أو بيان الفَرْق بينهم وبين المشركين»(١).

٢_ أن جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة متوقفة عليه: فهي متوقفة في قبولها، وفي كمالها، وفي ترتب الثواب عليها على التوحيد؛ فكلما قوي التوحيد والإخلاص كملت هذه الأمور وتمت.

وإذا كمل في قلب صاحبه حُبِّبَ إليه فعل الخيرات، وترك المنكرات، وصار من الراشدين.

٣_ ما يترتب عليه من الفضائل، والثمرات الجليلة: وقد مرَّ ذكر بعضها، ومنها أن العبد يتحرر من رق المخلوقين، ومن التعلق بهم خوفاً ورجاءً.

وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي.

وإذا كمل في القلب صار القليل من العمل كثيراً؛ بحيث تضاعف أجور صاحبه أضعافاً كثيرة.

ثانياً: أدلة توحيد الألوهية

لقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة، وتنوعت دلالتها في وجوب إفراد الله بالعبادة؛ فتارة تأتي نصوص الكتاب آمرةً بتوحيد الله أمراً مباشراً، وتارة تأتي

١_ انظرالقواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدي، ص١٩٢.

مبينةً الهدف من خلق الجن والإنس، وتارة تأتي موضحةً الغايةَ من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وتارة تأتي محذرةً من مخالفته، وتارة تأتي لبيان ثواب من عمل به في الدنيا والآخرة، وتارة لبيان عقوبة من تركه، وتخلى عنه، أو ناوأه، وحارب أهله.

فمن تلك الأدلة من الكتاب والسنة على وجود إفراد الله بالعبادة قوله ـ تعالى ـ: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ](البقرة: ٢١).

وقوله: [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ](هود: ١٢٣).

وقوله: [فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ](قريش: ٣).

وقوله: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً](النساء: ٣٦) وقوله: [قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً] (الأنعام: ١٥١) وقوله: [وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ] (الإسراء: ٢٣) وقوله: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ](الذاريات: ٥٦) وقوله: [وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً](الإسراء: ٣٩) وقوله: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] (الفاتحة: ٥) وقوله: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُول إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ] (الأنبياء: ٢٥) وقوله: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] (النحل: ٣٦).

ومن السنة ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن معاذ ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً».

قلت: أفلا أبشر الناس؟

قال: «لا تبشرهم، فيتكلوا»[1].

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه الأدلة في مباحث آتية.

ثالثاً: مضادة توحيد الألوهية

يضاد توحيد الألوهية: **الشرك** الذي يذهب به بالكلية، **والبدع** التي تذهب بكماله الواجب، **والمعاصي** التي تقدح فيه، وتنقص ثوابه.

رابعاً: الفرق التي أشركت في توحيد الألوهية

الفرق التي أشركت في هذا النوع من التوحيد كثيرة منها:

١ـ اليهود: الذين عبدوا العجل، ولا يزالون يعبدون الدرهم والدينار؛ فالمال هو معبودهم.

٢ـ النصارى: لادعائهم ألوهية المسيح ـعليه السلامـ وعبادتهم له.

٣ـ الشيعة: لدعائهم علياً، والعباس ـرضي الله عنهماـ وغيرهما من آل البيت.

٤ـ النصيرية: لعبادتهم علياً رضي الله عنه وزعمهم أنه الإله[2].

٥ـ الدروز: لقولهم بألوهية الحاكم بأمر الله العبيدي[1].

١ـ البخاري (٢٨٥٦) ومسلم (٣٠).

٢ـ انظر الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية (العلوية) لسليمان أفندي الأذني، دار الصحوة، ص٣٦، وانظر النصيرية لسهير الفيل، دار المنار، ص٤٧ـ٤٨.

٦ـ **غلاة الصوفية، وعباد القبور**: لغلوهم في الأولياء، وصرف النذور، والقرابين لأصحاب القبور، وطوافهم حول القبور إلى غير ذلك من القربات التي تصرف لأصحابها.

١ـ انظر إلى: عقيدة الدروز، عرض ونقض د. محمد أحمد الخطيب، ص١١٧ـ١٣٥، دار عالم الكتب.

المبحث الثالث: علاقة توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية

أنواع التوحيد متلازمة، وبعضها مرتبط ببعض، وفيما يلي بيان لشيء من علاقة توحيد الألوهية؛ بتوحيد الربوبية والعكس:

١_ **توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية:** بمعنى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية؛ فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلى عبادته وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لزم إفراده بالعبادة.

٢_ **توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية:** بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمناً في توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له فلابد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر.

٣_ **توحيد الربوبية عمل قلبي لا يتعدى القلب،** ولذا سمي توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي.

أما توحيد الألوهية فهو عمل قلبي وبدني، فلا يكفي فيه عمل القلب، بل يتعداه إلى السلوك والعمل قصداً لله وحده لا شريك له.

٤_ **أن توحيد الربوبية لا يكفي وحده:** ذلك لأن توحيد الربوبية مركوز في الفطر، فلو كان كافياً لما احتاج الناس إلى بعثة الرسل، وإنزال الكتب، فلا يكفي أن يقر الإنسان بما يستحقه الرب _تعالى_ من الصفات، وأنه الرب الخالق وحده. ولا يكون موحداً إلا إذا شهد أن لا إله إلا الله، فيقر ويعلم بأن الله هو المألوه

المعبود وحده، ويعبده بمقتضى هذا الإقرار والعلم.

٥_ **توحيد الألوهية هو الذي جاءت به الرسل:** وهو الذي حصل به النزاع بينهم وبين أممهم، كما قال قوم هود لنبيهم هود _عليه السلام_ عندما قال لهم: [اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] (الأعراف: ٥٩) [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا(٧٠)] (الأعراف).

وكما قال كفار قريش لما أُمِروا بإفراد الله بالعبادة:[أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ] (ص: ٥).

أما توحيد الربوبية فإنهم لم ينكروه، بل إن إبليس لم ينكره [قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي] (الحجر: ٣٩).

٦_ **أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا:** ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعاً في سياق واحد صار لكل واحد منهما معنى خاص يُراد به، كما في قوله _تعالى_: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ(٣)] (الناس).

فيكون معنى الرب: هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى الإله: المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهذا توحيد الألوهية.

وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: «من ربك؟»، ومعناه: من إلهك؟ وكما في قوله _تعالى_: [الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ] (الحج: ٤٠)، وقوله: [قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً](الأنعام: ١٦٤)، وقوله: عن الخليل _عليه السلام_: [رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] (البقرة: ٢٥٨)، وكما في قوله _تعالى_: [أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ

الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ] (النمل: ٦٢).

٧_ لابد لسلامة التوحيد، والفوز بالدارين من تحقيق هذين الأمرين[1].

١_ انظر الإرشاد ص٢١_٢٣.

المبحث الرابع: طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية في القرآن الكريم

تنوعت طرق الدعوة إلى توحيد الألوهية وأساليبها في القرآن الكريم، وقد مرَّت الإشارة إلى شيء من ذلك، وفيما يلي مزيد بسط لهذا الأمر:

١ـ أمر الله ـسبحانه ـ بعبادته: قال ـتعالى ـ: [وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً] (النساء:٣٦).

٢ـ نهي الله ـعز وجل ـ عن عبادة مَنْ سواه: كما في قوله ـتعالى ـ: [فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] (البقرة: ٢٢).

٣ـ إخبار الله ـسبحانه وتعالى ـ أنه خلق الخلق لعبادته: كما في قوله: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ(٥٦)] (الذاريات).

٤ـ إخبار الله أنه أرسل الرسل بالدعوة إلى عبادته والنهي عن عبادة غيره: كما في قوله: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] (النحل: ٣٦).

٥ـ الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية: فإذا كان الله ـتعالى ـ هو الخالق الرازق الذي لم يشاركه في ذلك مشارك وجب أن لا يُتَأَلَّهَ لغيره، ولا يُتَعَبَّدَ سواه، ولزم أن يُخَصَّ بالتوحيد كما قال ـتعالى ـ:[يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (البقرة: ٢١).

٦ـ الاستدلال على وجوب عبادته بكونه النافع، الضار، المعطي، المانع: فمن اتصف بهذه الصفات فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.

٧_ الاستدلال على وجوب عبادته بانفراده بصفات الكمال، وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين، كما في قوله _تعالى_: [فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً] (مريم: ٦٥).

وقوله: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (١٨٠)] (الأعراف).

وقوله عن خليله _عليه السلام_ أنه قال لأبيه: [إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً] (مريم:٤٢).

٨_ الاستدلال على وجوب عبادته بدقة صنعه: فكلما تدبر العاقل ذلك، وتغلغل فكره فيه، وازداد تأمله في ذلك علم أنه هو المستحق للعبادة.

٩_ الاستدلال على وجوب عبادته بتعدد نعمه: فإذا عُلِمَ أن ما بالعباد من نعمة فمن الله وحده، وأن أحداً من المخلوقين لا ينفع أحداً إلا بإذن الله، وأن الله هو النافع الضار _ علم أن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

١٠_ تعجيز الله لآلهة المشركين: كقوله _تعالى_: [أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ(١٩٢)] (الأعراف) وقوله: [قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً] (الإسراء:٥٦) وقوله: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ] (الحج:٧٣).

١١_ تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله: كما في قوله _تعالى_: [أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ(٦٧)] (الأنبياء)، وقوله: [وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ] (البقرة:١٣٠).

١٢ـ بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله: وبيان مآلهم مع من عبدوهم؛ حيث تتبرأ منهم تلك المعبوداتُ في أحرج المواقف كما قال ـتعالىـ: [وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ (١٦٧)] (البقرة).

وقوله: [وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ] (فاطر: ١٤).

١٣ـ بيان مصير الموحدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة: كما قال الله عن إمامهم إبراهيم ـعليه السلامـ: [وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ] (البقرة:١٣٠).

وقوله: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] (الأنعام: ٨٢).

١٤ـ رده على المشركين باتخاذ الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك له ـسبحانهـ لا تطلب من سواه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبَعْدَ رضاه عن المشفوع له، قال ـسبحانهـ: [أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ(٤٤)] (الزمر).

وقال: [مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ] (البقرة:٢٥٥).

١٥_ بيان أن هؤلاء المعبودين من دون الله لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه كما قال _تعالى_: [قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ(٢٣)] (سبأ).

١٦_ ذكر البراهين والأمثلة الدالة على بطلان الشرك، وسوء عاقبته، مما يجعل النفوس السليمة تنفر منه، قال _تعالى_: [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ] (الحج:٣١)[1].

١_ انظر تيسير العزيز الحميد ص٣٨_٣٩، ودعوة التوحيد للهراس، ٣٩_٤٥، والإرشاد ص ٢٥_٢٨، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ص١٥٤_١٥٦.

المبحث الخامس: مفهوم العبادة

أولاً: تعريف العبادة لغةً، واصطلاحاً

١_ تعريف العبادة لغةً: هي التذلل والخضوع، فيقال: بعير معبد أي مذلل، وطريق معبد أي مذلل، ذللته الأقدام.

ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته المشهورة يصف ناقته:

تباري عتاقاً ناجيات وأتبعت ... وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد[١]

فقوله: فوق مور معبد: أي فوق طريق مذلل من كثرة السير عليه، فالمور هو الطريق.

٢_ تعريف العبادة في الاصطلاح: عرفت العبادة في الاصطلاح بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

أ_ عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنها: «اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[٢].

ب_ وعرفها ابن القيم بأنها: «كمال المحبة مع كمال الذل».

وقال في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان[٣]

ج_ وعرفها الشيخ ابن سعدي رحمه الله بعدة تعريفات منها قوله: «العبادة

١_ شرح المعلقات العشر للزوزني، ص٩٧.
٢_ العبودية، ص(٣٨).
٣_ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٣٢.

روحُها وحقيقتُها تحقيقُ الحبِّ والخضوع لله؛ فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة؛ فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها»[١].

د_ وعرفها بتعريف ثانٍ فقال: «العبادة والعبودية لله اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك»[٢].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن العبادة تطلق إطلاقين:[٣]

الأول: الفعل الذي هو التَّعَبُّد.

الثاني: المفعول وهو المُتَعَبَّدُ به أو القربة.

مثال ذلك الصلاة ففعلها عبادة وهو التعبد، وهي نفسها عبادة وهي المتعبد به.

فعلى الإطلاق الثاني تُعَرَّف العبادة بتعريف شيخ الإسلام، وعلى الإطلاق الأول تُعَرَّف بالتعريف الثاني والثالث.

أما التعريف الرابع الذي هو تعريف ابن سعدي فإنه يشمل الإطلاقين الفعلِ والمفعولِ.

ومن التعريفات للعبادة _أيضاً_: «الأعمال الصالحة الإرادية التي تُؤَدَّى لله

١_ الحق الواضح المبين، ص٥٩_٦٠.
٢_ الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص١٦٢.
٣_ انظر القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عثيمين، ١/١٠.

تعالى ويفرد بها»[١].

وهذا يشمل الإطلاقين _أيضاً_.

الفرق بين العبادة وتوحيد العبادة ظاهر؛ فالعبادة هي ذات القربة أو فعلها. أما توحيدها فصرفها لله وحده لا شريك له.

ثانياً: أنواع العبادة

العبادة لها أنواع كثيرة، فبعضها قولي؛ كشهادة أن لا إله إلا الله، وبعضها فعلي؛ كالجهاد في سبيل الله، وإماطة الأذى عن الطريق، وبعضها قلبي؛ كالحياء، والمحبة، والخوف، والرجاء، وغيرها، وبعضُها مشترك كالصلاة مثلاً، فإنها تجمع ذلك كله.

ومن أنواع العبادة _زيادة على ماسبق_: الزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد المنافقين والكفار، والإحسان إلى الحيوان، والأيتام، والمساكين، وابن السبيل، والمملوك من الآدميين، والدعاء، والذكر، وكذلك الذبح، والنذر، والاستعاذة، والاستغاثة، والاستعانة، والتوكل، والتوبة، والاستغفار.

وهذه العبادات لا يجوز صرفها إلا لله، ومن صرفها لغيره فقد أشرك[٢].

١_ عبودية الكائنات لرب العالمين لفريد التوني، ص٢٥.

٢_ انظر تيسير العزيز الحميد ص٣٩_٤٢، والإرشاد للشيخ صالح الفوزان، ص٦٩، وانظر عقيدة التوحيد للشيخ محمد خليل هراس ص٤٧_٧٠.

ثالثاً: عبودية الخلق لله

تنقسم عبودية الخلق لله إلى ثلاثة أقسام:

١_ عبودية عامة: ويشترك فيها كافة الخلق؛ برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم.

قال _تعالى_:[إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً] (مريم: ٩٣).

فهذه عبودية الربوبية؛ فالخلق _بهذا الاعتبار_ كلهم عبيد لله مربوبون له.

٢_ عبودية خاصة: وهي عبودية الألوهية، وهي عبودية عباد الله الصالحين وهم كلُّ من تَعبَّد لله بشرعه، وأخلص في عبادته.

قال _تعالى_: [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً] (الفرقان:٦٣).

ولهذا أضافهم إلى اسمه إشارة إلى أنهم وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، وهذه إضافة التشريف.

٣_ عبودية خاصة الخاصة: وهي _أيضاً_ عبودية الألوهية، وهي للأنبياء والمرسلين الذين لا يباريهم ولا يدانيهم أحد في عبادتهم لله، قال _تعالى_: [وَاذْكُرْ عِبَادَنَا] (ص:٤٥) وقال عن نوح:[إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً](الإسراء: ٣)، وقال عن داود _عليه السلام_: [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ] (ص:١٧) وقال عن محمد ﷺ: [سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ] (الإسراء:١)، وقال: [وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً] (الجن:١٩)[١].

١_ انظر القول المفيد للشيخ محمد بن عثيمين ٢٨/١_٢٩.

المبحث السادس: شروط قبول العبادة، وأهمية ذلك

أولاً: شروط قبول العبادة

لا تقبل العبادة إلا إذا توافر فيها شرطان:

١ــ الإخلاص لله.

٢ــ المتابعة للرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال ــتعالىــ: [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً] (الكهف:١١٠).

وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله؛ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه؛ فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره»[١].

فمن أراد عبادة الله فلابد له من توافر هذين الشرطين، ولسان حاله يقول: (إياك أريد بما تريد).

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله ــتعالىــ:[لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً] (الملك: ٢).

قال: أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وما أصوبه؟

١ــ العبودية، ص١٧٠.

قال: إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[١].

فإذا فُقِد الشرطان أو أحدُهما بطلت العبادة.

وتوضيح ذلك بالمثال الآتي: لو أن شخصاً صلى لغير الله، وعلى صفة غير الصفة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ لردت عبادته، لماذا؟ لأنه فقد الشرطين معاً.

كذلك لو صلى كما كان الرسول ﷺ يصلي؛ بحيث أتى بصفة الصلاة الظاهرة كاملة، ولكنه صرفها لغير الله لبطلت عبادته، لماذا؟ لأنه فقد الإخلاص، والله _سبحانه_ يقول: [إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ]

(النساء:٤٨).

وقال _تعالى_: [وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] (الأنعام:٨٨).

كذلك لو صلى لله، ولكن على صفة غير الصفة التي علمنا إياها الرسول ﷺ؛ بحيث ابتدع صفة من عنده بطلت عبادته؛ لأنه فقد المتابعة، والرسول ﷺ يقول في الحديث المتفق عليه: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٢].

أي مردود، والجار والمجرور في قوله: «**عليه**» متعلق بمحذوف تقديره (حاكماً أو مهيمناً).

وفي رواية أخرى للحديث «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو**

١_ انظر العبودية، ص٧٦.
٢_ مسلم (١٧١٨) وأحمد ١٤٦/٦.

رد»[١].

وهذان الشرطان في الحقيقة متلازمان؛ فإن من الإخلاص لله أن يُتَّبَعَ النبي ﷺ واتِّبَاعُه _عليه الصلاة والسلام_ مستلزم للإخلاص.

ثانياً: أهمية الإخلاص والمتابعة

للإخلاص والمتابعة اللذين هما شرطا قبول العبادة أهمية عظمى، وتتجلى هذه الأهمية في أمور منها:

١_ أن الله أمر بإخلاص العبادة له: قال _تعالى_: [وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] (الأعراف: ٢٩).

٢_ أن الله _تعالى_ اختص نفسه بالتشريع: فهو حقه وحده، ومن تَعَبَّد الله بغير ما شرع فقد شارك الله _عز وجل_ في تشريعه، قال _تعالى_:[شَرَعَ لَكُمْ مِنْ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] (الشورى: ١٣).

وقال:[وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] (الأنعام: ١٥٣).

٣_ أن الله أنكر على من يشرِّع من عند نفسه: قال _تعالى_:[أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ] (الشورى: ٢١).

٤_ أن الله أكمل لنا الدين، ورضيه لنا: قال _تعالى_: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً] (المائدة:٣).

فالابتداع في الدين إنما هو في الحقيقة استدراك على الله، وعلى رسوله ﷺ

١_ البخاري٣/١٦٧، ومسلم (١٧١٨).

واتهام للدين بالنقص.

٥ـ ضَبْطُ أمورِ العباد في تقربهم إلى الله: فلو جاز للناس أن يتعبدوا بما شاؤوا، كيفما شاؤوا لأصبح لكل إنسان طريقتُه الخاصة بالعبادة، ولأصبحت حياةُ الناس جحيماً لا يطاق؛ إذ يسود التناحر والتنافر؛ لاختلاف الأذواق، مما يؤدي إلى الشقاق والافتراق.

والاتباعُ وترك الابتداع أعظمُ سببٍ للائتلاف والاجتماع.

٦ـ ظهور الحاجة إلى ما جاءت به الرسل: فلو جاز للناس أن يعبدوا الله بما شاؤوا كيفما شاؤوا لترتَّب على ذلك عدم حاجة الناس إلى الرسل، ولا يقول بهذا عاقل.

المبحث السابع: أركان العبادة، وحكم تغليب بعضها على بعض

أولاً: أركان العبادة

للعبادة ثلاثة أركان، هي:

١ـ الحب ٢ـ الخوف ٣ـ الرجاء

وجعلها بعض أهل العلم أربعة:

الحب، والتعظيم، والخوف، والرجاء.

ولا تعارض بين الأمرين؛ فإن الرجاء ينشأ من الحب، فلا يرجو الإنسان إلا من يحب، وكذلك الخوف ينشأ من التعظيم، فلا يخاف الإنسان إلا من عظيم.

وقد أثنى الله على أهل الخوف والرجاء من النبيين والمرسلين، فقال:[إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ] (الأنبياء: ٩٠).

ومدح القائمين بذلك من سائر عباده، فقال:[أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ](الزمر: ٩).

وقال ـسبحانه وتعالىـ: [وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ] (الإسراء:٥٧).

وقال: [تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ] (السجدة: ١٦).

كما أمر ـعز وجلـ باستحضار ذلك وقصْدِه فقال: [وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً] (الأعراف: ٥٦).

هذه هي عبادة الأنبياء والمرسلين، وعباد الله المؤمنين، فمن ذا الذي هو

أحسن منهم؟ وأكمل من هديهم؟ وهل تقبل دعواه؟

الجواب: لا؛ فالخوف والرجاء متلازمان؛ فكلاهما بريد الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فلو سألت من لا يأكل الربا من المؤمنين مثلاً مع قدرته عليه؛ فقلت له: لم لا ترابي؟ لبادر بقوله: إني أخاف الله، وأرجو ثوابه.

ولو سألت المصلي لِمَ تصلي؟ لقال: خوفاً من الله وطمعاً في ثوابه، وهكذا...

فَغَيْرُ الله قد يُحَبُّ، ولكن لا يُخاف منه، وقد يُخاف منه، ولكن لا يُحب.

أما الله _عز وجل_ فيجتمع الأمران في حقه؛ فيُخاف ويحب، فلابد للمؤمن _إذاً_ من الجمع بين الحب، والخوف، والرجاء، والتعظيم.

أما العبادة بالحب وحده فلا تكفي، وليست صحيحة؛ لأنها لا تتضمن تعظيماً لله، ولا خشيةً منه؛ إذ إن صاحبها يجعل الله _سبحانه_ بمنزلة الوالد والصديق، فلا يتورع من اقتراف المحرمات، بل يستهين بها؛ بحجة أن الحبيب لا يعذب حبيبه، كما قالت اليهود والنصارى:[نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ] (المائدة:١٨).

وكما يقول غلاة الصوفية: نحن نعبد الله لا خوفاً من عقابه، ولا طمعاً في ثوابه، إنما نعبد الله حباً له كما عبر بذلك كثير منهم كرابعة العدوية التي تقول:

أحبك حبين حبَّ الهوى ... وحبَّاً لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك لي الحجبَ حتى أراكا[1]

وكما قال ابن عربي:

١_ الصوفية في نظر الإسلام، دراسة وتحليل لسميح عاطف الزين، ص٢٥٧.

أدين بـــدين الحـــب أنى توجهـــت ركائبه فالحـــب ديـــني وإيمـــاني[١]

ولا شك أن هذا مسلك باطل، وطريقة فاسدة، لها آثار وخيمة منها الأمن من مكر الله، وغايته الخروج من الملة؛ فالذي يتمادى في التفريط والخطايا ويرجو رحمة ربه بلا عمل يقع في الغرور، والأماني الباطلة، والرجاء الكاذب.

كذلك العبادة بالخوف وحده دون الحب والرجاء ليست صحيحة، بل هي باطلة فاسدة، وهي طريقة الخوارج الذين لا يجعلون تعبدهم لله مقروناً بالمحبة، فلا يجدون للعبادة لذة، ولا إليها رغبة، فتكون منزلة الخالق عندهم كمنزلة سلطان جائر، أو ملك ظالم.

وهذا مما يورث اليأس أو القنوط من رحمة الله، وغايته الكفر بالله، وإساءة الظن به.

قال ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني**»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ـ عز وجل ـ**»[٣].

وحسن الظن هو الباعث على العمل؛ الذي يلزم منه تحري الإجابة عند الدعاء، والقبول عند التوبة، والمغفرةِ عند الاستغفار، والإثابةِ عند العمل.

أما ظن المغفرة والإجابة والإثابة مع الإصرار على الذنوب والتقصير في العمل

١ـ الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، د.محمد بن سعد ابن حسين، ص١٧٢.

٢ـ رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

٣ـ رواه مسلم (٢٨٧٧).

فليس من حسن الظن في شيء، بل هو سَفَهٌ وجهلٌ وغرور.

فلابد ـ إذاً ـ للعابد أن يكون الله أحبَّ إليه من كل شيء، وأن يكون الله أعظمَ عنده من كل شيء؛ فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله؛ فإنك إذا خفته فررت إليه، فالخائف من الله هارب إليه، قال ـ تعالى ـ: [فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ] (الذاريات: ٥٠).

وهناك مقولة مشهورة عند السلف، وهي قولهم: «من عَبَدَ الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف، والرجاء، والحب، فهو مؤمن موحد»[(١)].

ثانياً: حكم تغليب أركان العبادة على بعض

هناك سؤال يدور كثيراً وهو، أيهما يُغَلَّب؟ الخوف أو الرجاء.

الجواب: أنه اختُلف في ذلك على أقوال منها:

١ـ **قيل**: ينبغي أن يغلِّب الإنسان جانب الخوف؛ ليحمله ذلك على فعل الطاعة وترك المعصية.

٢ـ **وقيل**: يغلِّب جانب الرجاء؛ ليكون متفائلاً، والرسول ﷺ كان يعجبه الفأل.

٣ـ **وقيل**: في فعل الطاعة يغلب الرجاء؛ لينبعث إلى العمل؛ فالذي منَّ عليه بالطاعة سَيَمُنُّ عليه بالقبول، ولهذا قال بعض السلف: إذا وفقك الله للدعاء

١ـ انظر العبودية، ص١٢٨.

فانتظر الإجابة؛ لأنه يقول:[ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ](غافر: ٦٠).

وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف؛ لأجل أن يمنعه ذلك من فعل المعصية، قال ـ تعالى ـ:[قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] (الأنعام: ١٥).

وهذا قريب ولكن ليس بالقرب الكامل، إذ قد يُعْتَرض عليه بقوله ـ تعالى ـ: [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ] (المؤمنون: ٦٠).

٤ ـ وقيل: يغلب جانب الخوف في الصحة، وجانب الرجاء في المرض.

٥ ـ وقيل: هما كجناحي الطائر، فالمؤمن يسير إلى الله بجناحين هما الرجاء والخوف، فإذا استويا تم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

٦ ـ وقيل يختلف من شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال.

٧ ـ وقيل: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب؛ فالمحبة هي المَرْكَبُ، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله المُوصل بمَنِّه وكرمه.[1]

---

١ ـ انظر الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٣٠ ـ ٣٢، والقول المفيد ١/٥١ ـ ٥٢، و٢/١٦٤ ـ ١٦٥، وانظر الرسالة الثانية عشرة مسائل في المحبة، والخوف، والرجاء للكاتب.

ثانياً: نبذة في الشرك

أولاً: تعريف الشرك: هو أن يشرك مع الله غيره في حق من حقوقه.

أو هو أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو أن يُعظَّم كما يعظم الله، أو أن يُصرَف له نوع من أنواع الألوهية أو الربوبية.

ثانياً: أقسام الشرك: ١ــ شرك أكبر. ٢ــ شرك أصغر.

ثالثاً: تعريف الشرك الأكبر: هو اتخاذ العبد نداً من دون الله يسوِّيه بربِّ العالمين.

رابعاً: تعريف الشرك الأصغر: ما أتى في النصوص أنه شرك، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.

أو هو الذرائع والوسائل الموصِّلة للشرك الأكبر.

خامساً: أمثلة للشرك الأكبر: ١ــ الذبح لغير الله.

٢ــ النذر لغير الله.

٣ــ الطواف بالقبور، ودعاء أهلها من دون الله.

٤ــ دعاء الأموات والغائبين كما يُدعى الله ــعز وجلــ.

٥ــ محبة غير الله كحبِّ الله.

٦ــ الخوف من غير الله كالخوف من الله.

٧ــ الاستعاذة والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

٨ــ جعل العبد وسائط بينه وبين الله يدعوهم، ويتوكل عليهم.

سادساً: أمثلة للشرك الأصغر: ١ــ الحلف بغير الله.

٢ـ تعظيم المخلوق تعظيمًا لا يبلغ رتبة العبادة.

٣ـ تعليق التمائم والحروز؛ بزعم أنها تدفع العين ونحو ذلك.

٤ـ الصلاة لله عند القبور.

سابعاً: الفروق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر: هناك فروق عديدة منها:

١ـ يختلفان في التعريف كما مرَّ.

٢ـ الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الملة، والتخليد في النار، أما الأصغر فبخلاف ذلك.

٣ـ الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

٤ـ الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة، أما الأصغر ففيه خلاف، والصحيح ـ والله أعلم ـ أنه تحت المشيئة.

ثامناً: ضوابط في تمييز الشرك الأصغر من الأكبر:

١ـ صريح النص كقوله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**».

٢ـ أن يأتي منكَّراً: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**».

٣ـ ما يفهمه الصحابة من النص أنه أصغر؛ فهم أعلم الناس بمعاني نصوص الكتاب والسنة.

تاسعاً: أسباب وقوع الشرك: ١ـ الجهل. ٢ـ الإعجاب، والتعظيم.

٣ـ الميل إلى الأمور المحسوسة. ٤ـ الهوى، والشهوات.

٥ـ التقليد الأعمى للآباء والأجداد. ٦ـ علماء السوء، وجهلة العُبَّاد.

٧ـ وجود طواغيت يصدون النـــاس عن عبـــادة الله.

٨ـ حب المال والشهرة والجاه. ٩ـ الكبر.

١٠ـ التقصير في جانب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عاشراً: أضرار الشرك: ١ـ أنه السبب الأعظم في دخول النار والخلود فيها.

٢ـ أنه السبب الأعظم لحرمان الجنة. ٣ـ أنه السبب الأعظم لحبوط العمل.

٤ـ الشرك يطفئ نور الفطرة. ٥ـ هو أعظم سبب للشقاء في الدنيا.

٦ـ الشرك يقضي على عزة النفس، وعلى الأخلاق الفاضلة.

٧ـ سبب للفرقة والتناحر، وفقدان الأمن.

٨ـ سبب للتخلف في شـــتى الميادين. ٩ـ سبب للهزائم وتسلط الأعداء.

ثالثاً: نبذةٌ في التمائم

أولاً: تعريفها: التمائم جمع تميمة، وهي ما يُعَلَّق على الأعناق أو المراكب أو البيوت، أو غيرها؛ لجلب نفع، أو دفع ضر، أورفعه، سواء كانت من القرآن، أوالخيوط، أوالخرز، أوالحصى، أو غيرها.

ثانياً: أسماؤها الأخرى: للتمائم أسماء أخرى منها:

١ـ الحروز. ٢ـ الحجب.

٣ـ التعاليق. ٤ـ الودع.

ثالثاً: تحريم التمائم: التمائم محرمة بالكتاب والسنة، قال ـتعالىـ: [وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] (الأنعام:١٧).

وقال ﷺ: «**من تعلق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له**» رواه أحمد، والحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي.

رابعاً: أسباب تحريمها: ١ـ لما فيها من تعلُّق القلب بغير الله.

٢ـ لأنها ليست سبباً شرعياً ولا قدرياً، واعتقادُ أنها سبب تشريعٌ مع الله، ومنازعة له في خلقه وأمره.

٣ـ أنها تفتح على العبد باب الخرافة، وتقوده إلى الشرك.

٤ـ أنها سبب للخذلان؛ لأن من تعلق شيئاً وُكل إليه.

خامساً: هل التمائم من الشرك الأصغر أو من الأكبر؟ الجواب كما يلي:

١ـ إذا كانت التميمة صنماً، أو رقية شركية، أو صليباً ـ فهذا شرك أكبر

بلا ريب.

٢ــ إذا كانت من الخيوط، أو الخرز، أو نحوهما، واعتمد عليها العبد اعتماداً كلياً، وقام بقلبه أنها تؤثر بنفسها استقلالاً ــ فهذا أيضاً شرك أكبر.

٣ــ إذا كان من الخيوط، أو الخرز، ونحوهما، واعتــقد أنها مجرد سبب، و لم يعتمد عليها اعتماداً كلياً ــ فهذا شرك أصغر.

سادساً: حكم المعلَّق إذا كان من القرآن أو الأدعية النبوية: الصحيح أنه لا يجوز للأسباب الآتية:

١ــ سداً للذرائع الموصلة للشرك.

٢ــ لعموم النهي في التمائم.

٣ــ لأنه قد يفضي إلى امتهان القرآن والأدعية النبوية، وذلك بالدخول بها في الخلاء، وبتعريضها للأوساخ.

٤ــ لأنه ذريعة للدجَّالين؛ كي يكتبــوا آيــة أو سورة أو بسملة، ثم يضعوا تحتها طلاسم شيطانية واستغاثات شركية.

٥ــ لأنه قد يكون مدعاة لهجر القرآن، والدعاء؛ اكتفاءً بما عُلِّق.

سابعاً: نماذج للتمائم الموجودة: ١ــ ما يُعلَّق على الأطفال؛ خشية العين.

٢ــ ما تُعلِّقه بعض النساء، أو تضعه في غرفتها، أو تحت وسادتها؛ لاتقاء العين، أو للحفظ من الأذى أو لجلب محبة الزوج، ونحو ذلك.

٣ــ ما يعلق على السيارات من رسوم، أو خرز، أو غير ذلك؛ لدفع العين.

٤ــ ما يعرف بالدنبوشي عند بعض لاعبي الكرة؛ حيث يضعون على سواعدهم لفة معينة، أو يعلقونها على الشباك، وربما كان المعلق مشتملاً على آيات

قرآنية توضع تحت حذاء اللاعبين؛ زعماً منهم أن ذلك يجلب الفوز! كل ذلك من الأمور الشركية المحرمة.

رابعاً: نبذةٌ في التبرك

أولاً: تعريفه: التبرك هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، وكلِّ ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه، بسبب ذات مباركة، أو زمان أو مكان مبارك، وتكون هذه البركة قد ثبتت ثبوتاً شرعياً، وثبتت الكيفية التي تنال بها عن النبي ﷺ.

ثانياً: قواعد عامة مجملة في التبرك: ١ــ أن البركة كلَّها من الله، كما أن الرزق، والنصر، والعافية من الله؛ فلا تطلب إلا من الله، وطلبها من غيره شرك.

٢ــ أن ما ورد شرعاً أن فيه بركةً من الأعيان، والأقوال، والأفعال إنما هو سبب للبركة، وليس هو مصْدَرَها.

٣ــ أن الذي يدل على وجود البركة من عدمها بسبب شيء أو في شيء إنما هو الدليل الشرعي فحسب.

ثالثاً: نماذج للتبرك المشروع: ١ــ التبرك بذات النبي ﷺ وآثاره.

٢ــ التبرك بالأفعال والأقوال، والهيئات المشروعة: فإذا جاء المسلم بها ملتمساً الخير بسببها، متبعاً السنة بفعلها ــ حصل له من الخير والبركة بقدر نيته واجتهاده.

ومن ذلك: ذكر الله، وقراءة القرآن، والاجتماع على الذكر، والتقدم في ساحات الوغى جهاداً في سبيل الله.

ومن ذلك: الاجتماع على الطعام، والأكل من جوانب القصعة، ولعق الأصابع بعد الانتهاء من الطعام.

٣ــ التبرك المشروع بالأمكنة: كالتبرك بالمساجد عموماً، وبالمسجد الحرام

والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ومسجد قباء خصوصاً، فلهذه المساجد مزيّة على غيرها.

والتبرك بالمساجد كالتبرك في غيرها لا بد فيه من الإخلاص والمتابعة، فمما تحصل به البركة في المساجد الاعتكاف، والصلاة، والذكر، وغير ذلك.

ومن الأمكنة المباركة أيضاً: مكة، والمدينة، والشام.

٤ـ التبرك بالأزمنة: مثل رمضان، وليلة القدر، وثلث الليل الآخر، والجمعة، والاثنين، والخميس، وعشر ذي الحجة.

٥ـ التبرك بالمطعومات وما في حكمها: كالتبرك بزيت الزيتون، واللبن، والتمر، والحبة السوداء، والكمأة، وأكلة السَّحَر، وكالعسل، وماء زمزم.

ويلحق بما سبق: الخيل، والغنم؛ ففي تربيتها بركة.

وكل ما مضى وردت به الأدلة الشرعية، والمقام لا يتسع لبسطها.

وبالجملة فأعظم سبب للبركات هو الإيمان والتقوى [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ](الأعراف: ٩٦).

رابعاً: التبرك الممنوع: هو ما لم يرد فيه نص، أو ما ورد النص في النهي عن التبرك فيه، كالتبرك بالطواف بالقبور، ودعاء الأموات والغائبين، وكالتبرك بالأشجار، والأحجار، والغيران، وغيرها، وكالتبرك بذوات العلماء والصالحين؛ فإن هذا لا يجوز، وإنما تلتمس البركة بأخذ العلم عنهم، وبالاستفادة من سمتهم وهديهم.

المبحث الثالث: أنواع من السحر

هناك أعمال يمكن إلحاقها بالسحر لما بينهما من التشابه والاشتراك في ادعاء علم الغيب، أو سلوك الطرق المحرمة في الوصول إلى ذلك.

ومن أشهر تلك الأنواع: الكهانة والعرافة، والتنجيم، والطيرة، والخط على الرمل وما يلحق به.

وفيما يلي من صفحات بيان لتلك الأنواع، وما يتعلق بها من أحكام:

أولاً: الكهانة والعرافة

١ _ مفهوم الكهانة والعرافة: قيل: إنهما بمعنى واحد يطلقان على الحازي، والطبيبِ، وكلِّ مَنْ يتعاطى علماً دقيقاً.[١]

وقيل: إن الكاهن هو مَنْ يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار سواء كان له تابع من الجن، ورئيٌّ يلقي إليه الأخبار، أو كان ممن يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات يُسْتَدَلُّ بها على مواقعها مِنْ كلامِ مَنْ يسأله، أو فعله، أو حاله.

وقيل: بل هذا الأخير هو العراف الذي يدعي معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحوها.

وقيل: الكاهن مَنْ يخبر عن الغيب الماضي والمستقبل، والعراف من يخبر عن

---

١ _ انظر لسان العرب مادة (كهن)، ومادة (عرف) ١٧/٢٤٤_٢٤٥، و١١/١٤٢، والمصباح المنير ٢/٥٣.

الماضي.[١]

يقول ابن عابدين رحمه الله: «الكاهن قيل: هو الساحر، وقيل: هو العراف الذي يُحدِّث ويتخرص.

وقيل: مَنْ له مِنَ الجن مَنْ يأتيه بالأخبار».[٢]

٢_ وجه إلحاق الكهانة والعرافة بالسحر: ألحقت الكهانة والعرافة بالسحر لأمور، منها:

أ_ لكونهما مشابهين له من جهة الإخبار بما يخفى على الآخرين.

ب_ أن فيهما ادعاءً لعلم الغيب كحال السحر.

جـ _ أنهما سبيل لسلوك الطرق المحرمة للوصول إلى المغيبات.[٣]

د_ أنهما طريق لفتح باب الخرافة، والدجل، والتعلق بغير الله _جل وعلا_.

ثانياً: التنجيم

١_ مفهوم التنجيم: أ_ التنجيم في اللغة: مصدر الفعل: نَجَّمَ، مأخوذ من النجم، وهو الكوكب، وهو اسمُ علمٍ على الثريا.[٤]

والمنجم والمتنجم: الذي ينظر في النجوم، ويحسب مواقيتها وسيرها.[٥]

ب_ التنجيم في الاصطلاح: هو ادعاءُ معرفةِ أحكامِ النجوم المتعلقة بالعالم

---

١ _ انظر المفردات في غريب القرآن ص٤٤٢_٤٤٣، وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان ابن عبدالله ٤٠٦ و٤١١_٤١٢، وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص٣٨_٣٩، وأضواء البيان ٤/٤٥٥، والسحر بين الحقيقة والخيال ١٧٥_١٧٦.

٢ _ حاشية ابن عابدين ٤/٢٤٠ بتصرف يسير.

٣ _ انظر السحر بين الحقيقة والخيال ص١٧٦.

٤ _ انظر الصحاح للجوهري ٥/٢٣٩.

٥ _ انظر جمهرة اللغة لابن دريد ٢/١١٥.

السفلي، وتأثيرات النجوم فيه.(١)

وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية».(٢)

وعرفه ابن خلدون رحمه الله بقوله: «ما يزعمه أصحاب هذه الصناعة من أنهم يعرفون الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قِبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولِّدات العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية».(٣)

٢_ وجه إلحاق التنجيم بالسحر: دراسة هذا العلم من جهة معرفة خصائص الأجرام العلوية، وأبعادها، وحركاتها ليس داخلاً في موضوع السحر.

وإنما يدخل في السحر، وكونه أَحَدَ أنواعه من جهة سحر الذين كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور، والسعادة والنحوسة.

وهؤلاء هم الذين بعث الله لهم إبراهيم _عليه السلام_ مبطلاً لمقالتهم، وهؤلاء يعتقدون أن لهذه الكواكب إدراكاتٍ رُوحانيةً، إذا قوبلت بما يناسب روحانيتَها من البخور واللباس كانت مطيعةً لمن صنع ذلك، عاملةً له ما يريد.

---

١ _ انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٢/٣٥، وانظر التنجيم والمنجمون وحكمه في الإسلام للشيخ د.عبدالمجيد المشعبي وهو من أحسن ما كتب في هذا الباب ص٣١.

٢ _ انظر مجموع الفتاوى ١٩٢/٣٥.

٣ _ مقدمة ابن خلدون ص٥١٩_٥٢٠.

ولا شك بأن هذا الاعتقاد باطل، وشرك، وهو المنحى الذي يتوارثه السحرة؛ ليضللوا به الخلق، ويوحوا إليهم بأن هذه الأجرام العلوية تتصرف في العالم السفلي، وأنها فاعلة لما يحدث فيه.(١)

فهذا وجه إلحاق التنجيم بالسحر، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ما اقتبس رجل علماً من النجوم إلا اقتبس بها شعبة من السحر زاد ما زاد**».(٢)

بمعنى أن هذا الاقتباس الذي يكون سحراً هو ما يدعيه المنجمون، ولا يمكن حمل الاقتباس على أنه إدراك علم صحيح عن أحوال النجوم؛ لأن معرفة صفاتها التي خلقها الله _تعالى_ عليها، وخصائصها التي هيأها لها _ ليست هي ما يعتقده السحرة فيها من كونها مؤثرةً، وعلةً تامةً تستلزم معلولها، بل الباطل المحذور هو ما يدعيه أولئك من الباطل الداعي إلى عبادة غير الله _تعالى_.

أما هي فبعض مخلوقات الله العليم الحكيم الذي لم يخلق شيئاً عبثاً، بل خلق العالم وَرَتَّبَه؛ فهو يسير بنظام محكم دقيق وَفْقَ ما أراد، فما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، بحيث رُتِّبت فيه الأسباب، وربطت بمسبَّباتها، وخَالِقُها كلِّها هو الله _تعالى_.(٣)

ملحوظة: هناك أمور يظنها بعض الناس من التنجيم، وهي ليست منه، كالعلم بحادثتي الكسوف والخسوف، فيمكن العلم بذلك بحساب النيِّرين كما

١ _ انظر أحكام القرآن للجصاص ٥٢/١_٥٤، وتفسر التحرير والتنوير ٦٣٥/١، و السحر بين الحقيقة والخيال ١٨٢_١٨٣.
٢ _ أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٧١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٩٣).
٣ _ انظر السحر بين الحقيقة والخيال ص١٨٣.

يعلم طلوع الهلال والبدر بحسابهما.

وكذلك توقع حالة الجو؛ فهو قائم على دراسة معينة، وبواسطة آلات خاصة بذلك، وقد تصيب تلك التوقعات، وقد تخطئ، ولكنها ليست من جنس أخبار المنجمين.[1]

ثالثاً: الطِّيرة

١ـ مفهوم الطيرة: أ ـ تعريف الطيرة لغة: الطيرة، والتطير بمعنىً واحد؛ فالتطير مصدر الفعل تطير يتطير، والطيرة اسم المصدر.

مثل تخير يتخير تخيراً، وخِيرةً، ويقال: تطيَّرت من الشيء، وبالشيء[2].

ب ـ والطيرة في الاصطلاح هي: التشاؤم من الشيء المرئي، أو المسموع[3].

والتشاؤم: هو عَدُّ الشيء مشؤوماً، أي يكون وجوده سبباً في وجود ما يحزن ويضر[4].

جـ ـ اشتقاق الطيرة، وسبب تسميتها بذلك: الطيرة مشتقة من أحد أمرين:

إما من الطيران: فكأن الذي يرى ما يكره أو يسمع ـ يطير، كما قال بعضهم:

---

١ ـ انظر التنجيم والمنجمون ص٣٠٣ ـ ٣٢٠ و٣٢٥.
٢ ـ انظر لسان العرب لابن منظور ٥١٢/٤ ـ ٥١٣.
٣ ـ انظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٤٦/٢، والآداب الشرعية لابن مفلح ٣٥٧/٣ ـ ٣٦٣.
٤ ـ انظر تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ٦٦/٥.

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوَّت إنسان فكدت أطير[١]

وإما من الطير: وهذا هو الأصل، والمختار من الوجهين؛ إذ كانت العرب تزجر الطير والوحش، أي تُنَفِّرها، وترسلها، وتتفاءل أو تتشاءم بها.

فمن قال بالأول احتج بأن الوحش يُتطيَّر به، وزُجِرت مع الطير.

ومن قال بالقول الثاني قال: إنما كان الأصل في الطير، ثم صار في الوحش، وقد يجوز أن يُغَلَّب أحد الشيئين على الآخر؛ فيذكر دونه، ويرادان جميعاً، كما قيل:

ما يعيف اليوم في الطير الدَّوَح من غراب البين أو تيس برح

فجعل التيس من الطير؛ إذ قدم ذكر الطير، وجعله من الطير بمعنى التطير[٢].

---

١ _ هذا البيت يُنسب للشنفرى، ولتأبط شراً، ولغيرهما.

وبعض الناس يفهم هذا البيت بعكس معناه؛ فيظن أن القائل كاد يطير من شدة الفرح.

والصحيح أنه كاد يطير من الهم، والخوف بدليل أنه قال في البيت الذي يليه:

يرى الله أني للأنيس لكارهٌ وتبغضهم لي مقلة وضمير

وبدليل أن هذا البيت يُنسب لأحد الصعاليك إما الشنفرى، أو تأبط شراً، أو غيرهما.

ولا يخفى أن الصعاليك ذوو غارات، ومخاطرات، ورغبة في العيش في الصحارى، وإيثار للوحدة والبعد عن الناس كما قال الشنفرى في لاميَّتِه:

ولي دونكم أهلون سَيدٌ عَمَلَّسٌ وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

أولئك لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخذلُ

ويقصد بالسِّيد العملس: الذئب القوي، والأرقط: النمر، والعرفاء: الضبع، يريد أن العيش مع تلك الحيوانات خيرٌ له من العيش مع البشر.

٢ _ انظر العمدة لابن رشيق القيرواني ٢/٢٥٩_٢٦٤.

فالتطير _**إذاً**_ مأخوذ من الطير في الأصل، ثم أطلق على كل ما يتوهم أنه سبب في لحاق الشر، سواء كان مسموعاً، أو مرئياً، أو معلوماً، وسواء كان طيراً، أو حيواناً، أو جماداً، أو زماناً، أو مكاناً، أو شخصاً، أو نباتاً، أو عدداً، أو نحو ذلك.

ومما يدخل في مبحث الطيرةِ العيافةُ، وهي: مَصْدَرُ الفعل عاف يعيف، والمصدر عيافة.

والعيافة هي: زجر الطير، وتنفيرها، وإرسالها، والتفاؤل، أو التشاؤم بأسمائها، وأصواتها، وممراتها؛ فعن العيافة يكون الفأل، أو التشاؤم.

٢_ **وَجْهُ كونِ الطيرةِ من السحر:** قال _عليه الصلاة والسلام_: «**إن العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت**»[1].

قال عوف: «**العيافة**: زجر الطير، **والطَرْق**: الخط في الأرض، **والجبت**: قال الحسن: إنه الشيطان».[2]

قيل في تفسير الجبت: هو كل ما عبد من دون الله، وقيل: هو الكاهن، والساحر، والسحر.[3]

قال الدكتور أحمد الحمد مبيناً وجه كون الطيرة من السحر من خلال

١ _ أخرجه أبو داود(٣٩٠٧)، وحسنه إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٧٠).

٢ _ أبو داود(٣٩٠٨)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: «صحيح مقطوع».

٣ _ انظر المفردات ص٨٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٩/٥، ولسان العرب ٣٢٥/٢.

الحديث الماضي: «إن معاني الجبت كلها صادقة في العيافة، والطرق، والطيرة بحسب أحوالها، وكل تلك المعاني دالة على عِظَمِ جُرْم فاعلها.

فإن كانت سحراً فلها أحكامه، وما قيل فيه يقال فيها.

ولا شك بأن اعتقاد أن تلك الأفعال مُنْبِئَةٌ عن ما سيحصل من الغيب، أو أن هذا الفعل مباح _ كفرٌ، واعتقادَ أنها تجلب له النفع، أو تدفع عنه الضرر_ شرك، فهذا نوع عبادة لها.

وفاعل هذه الأمور، ومفسرها لنفسه أو للناس _ساحر، وإقدامه على الفعل تبعاً لذلك، أو امتناعه، أو طاعة غيره له _ عبادة لغير الله _تعالى_ لما صح عن رسول الله ﷺ أن الطيرة شرك، فقد روى أبو داود بسنده عن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**الطيرة شرك** «ثلاثاً» **وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل**».[1]

وإن كان صاحب تلك الأعمال لا يعتقدها فهو كذب، وغش، وبهتان، ووسيلة إلى الشرك ممن قد يصدقه، وبحسب حاله يكون حكمه من الكفر،أو

١_ رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود، وأخرجه الحاكم في المستدرك١٧/١، وصححه، ووافقه الذهبي.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله _تعالى_.

وقال: «قوله: «**وما منا إلا**» قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري: في الحديث إضمارٌ، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهى.

وقال الخلخالي: حذف المستثنى؛ لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام.

قوله: «**ولكن الله يذهبه بالتوكل**»: أي لما توكلنا على الله في جلب النفع، أو دفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده». انظر فتح المجيد ٥٢٣/٢_٥٢٤.

الفسوق والعصيان؛ فالفاسق من يتظاهر بتلك الأعمال كذباً من غير اعتقاد، ولا استعانة بالشياطين، وجعلِ تلك الأمور وسيلة ظاهرة يضلل بها.

والكافر هو فاعلها معتقداً إباحتها، أو صدقها ودلالتها، أو المستعين بالشياطين على كشف بعض الأمور، واتخاذ تلك وسيلة يخفي بها صُنْعَه».(١)

ومما يؤكد علاقة الطيرة بالسحر أن أهل الجاهلية كانوا يقصدون بالسؤال عن حوادثهم، وما أَمَّلوه مِنْ أعمالهم ـ مَنِ اشْتُهِر عندهم بإحسان الزجر، والطيرة، وسموه عائفاً، وعرافاً.

وممن اشتهر بذلك عرَّاف اليمامة، والأبلق الأسدي، والأجلح، وعروة ابن يزيد، وغيرهم؛ فكان العرب يحكمون بذلك، ويعملون به، ويتقدمون، ويتأخرون في جميع ما يتقلبون فيه، ويتصرفون؛ في حال الأمن، والخوف، والسعة، والضيق، والحرب، والسلم؛ فإن أنجحوا فيما يتفاءلون به مدحوه، وداوموا عليه، وإن عطبوا فيه تركوه وذموه.(٢)

رابعاً: الخط على الرمل، وما يلحق به

الخط على الرمل: هو الطرق الوارد في قوله ﷺ: «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**»(٣).

وقد مضى وجه كونه ملحقاً بالسحر في الفقرة الماضية عند الحديث عن الطيرة.

---

١ _ السحر بين الحقيقة والخيال ص١٨١_١٨٢.
٢ _ انظر مفتاح دار السعادة ٢/٢٢٩_٢٣٠، وانظر تفصيل الكلام في الطِّيرة في رسالة الطيرة للمؤلف.
٣ _ مضى تخريجه.

وطريقة هذه الصناعة أن الذين يتعاطونها من المنجمين جعلوا من النقط والخطوط ستة عشر شكلاً، وميزوا كلاً منها باسم وشكل يختلف عن غيرها، وقسّموها إلى سعود ونحوس.

وشأنهم في ذلك شأنهم في الكواكب، ومسائل هذه الصناعة تخمينية يزعمون أنها مبنية على تجارب، ويربطونها بالنجوم، ويقولون: إن البروج الاثني عشر يقتضي كل منها شكلاً معيناً من الأشكال التي اصطلحوا عليها، وقالوا: إنه حين السؤال عن المطلوب تقتضي أوضاع البروج قوى الشكل المعين الذي يرسمه الرمّال على الرمل، وتلك الأشكال تدل على أحكام مخصوصة تناسب أوضاع البروج.(١)

ومما يدخل في علم الرمل، ويأخذ حكمه علم الأسارير، وهو علم باحث في الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام والجباه بحسب التقاطع والتباين والطول والعرض والقصر، وبحسب ما بينها من الفروج المتسعة، أو المتضايقة على أحوال الإنسان من طول الأعمار وقصرها، والسعادة والشقاوة، والغنى والفقر، وما شابه ذلك.

ويلحق به ـ أيضاً ـ ما يسمى بقراءة الفنجان.(٢)

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: «وقد ظهر من أقواله ﷺ ومن تقريرات الأئمة من العلماء، وفقهاء هذه الأمة ـ أن علم النجوم، والخط على الرمل، وما يسمى بالطالع، وقراءة الكف، وقراءة الفنجان، ومعرفة الخط، وما

---

١ ـ انظر التنجيم والمنجمون ص٢٩٤.

٢ ـ انظر التنجيم والمنجمون ص٣٠١.

أشبه ذلك كلها من علوم الجاهلية، ومن الشرك الذي حرمه الله ورسوله، ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها، والتحذير من فعلها، أو إتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها، أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به».[١]

١ _ مجلة البحوث العلمية عدد ٢٠ ص٧_١١.

فصل

في التحذير من البدع

أولاً: تعريف البدعة؛ أنواعها وأحكامها

تعريف البدعة:

البدعة في اللغة مأخوذة من البدع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أي: مخترعها على غير مثال سابق، وقوله تعالى: ﴿قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: ابتدع فلان بدعة؛ يعني: ابتدأ طريقة لم يسبق إليها.

والابتداع على قسمين: ابتداع في العادات؛ كابتداع المخترعات الحديثة[١]، وهٰذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة. وابتداع في الدين، وهٰذا محرم؛ لأن الأصل فيه التوقيف؛ قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو رد»[٢]، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»[٣].

---

(١) ويدخل في ذٰلك الاكتشافات العلمية بأنواعها المختلفة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) في «صحيح مسلم».

أنواع البدع:

البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية؛ كمقالات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات؛ كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صياماً غير مشروع، أو أعياداً غير مشروعة؛ كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة؛ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

حكم البدعة في الدين:

كل بدعة في الدين ـ من أي نوع كانت ـ فهي محرمة وضلالة؛ لقوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1]، وقوله

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

ﷺ: «من أحدث في أمرنا هٰذا ما ليس منه؛ فهو رد»، وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد»؛ فدل الحديث على أن كل محدث في الدين؛ فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة.

ومعنى ذٰلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة.

ولٰكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة؛ فمنها ما هو كفر صراح؛ كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، وكمقالات غلاة الجهمية والمعتزلة. ومنها ما هو من وسائل الشرك؛ كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها. ومنها ما هو فسق اعتقادي؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية. ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل، والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع[1].

تنبيه:

من قسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة؛ فهو غالط ومخطىء ومخالف لقوله ﷺ: «فإن كل بدعة ضلالة»؛ لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، وهٰذا يقول: ليس كل بدعة ضلالة، بل هناك بدعة حسنة!

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين»: «فقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة»: من جوامع الكلم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه؛ فهو رد»؛ فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه؛ فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء في ذٰلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة»[2] انتهى.

---

(١) انظر: «الاعتصام» للشاطبي (٢ / ٣٧). (٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٣٣).

وليس لهٰؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح: «نعمت البدعة هٰذه»، وقالوا أيضاً: إنها أحدثت أشياء لم يستنكرها السلف؛ مثل جمع القرآن في كتاب واحد، وكتابة الحديث وتدوينه.

والجواب عن ذٰلك: أن هٰذه الأمور لها أصل في الشرع؛ فليست محدثة، وقول عمر: «نعمت البدعة»؛ يريد البدعة اللغوية لا الشرعية؛ فما كان له أصل في الشرع يرجع إليه؛ إذا قيل: إنه بدعة؛ فهو بدعة لغة لا شرعاً؛ لأن البدعة شرعاً ما ليس له أصل في الشرع يرجع إليه.

وجمع القرآن في كتاب واحد له أصل في الشرع؛ لأن النبي ﷺ كان يأمر بكتابة القرآن، لٰكن كان مكتوباً متفرقاً، فجمعه الصحابة رضي الله عنهم في مصحف واحد حفظاً له.

والتراويح قد صلاها النبي ﷺ بأصحابه ليالي، وتخلف عنهم في الأخير؛ خشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها أوزاعاً متفرقين في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، إلى أن جمعهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه خلف إمام واحد، كما كانوا خلف النبي ﷺ، وليس هٰذا بدعة في الدين.

وكتابة الحديث أيضاً لها أصل في الشرع؛ فقد أمر النبي ﷺ بكتابة بعض الأحاديث لبعض أصحابه لما طلب منه ذٰلك، وكان المحذور من كتابته بصفة عامة في عهده ﷺ خشية أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلما توفي ﷺ؛ انتفى هٰذا المحذور؛ لأن القرآن قد تكامل وضبط قبل وفاته ﷺ، فدون المسلمون السنة بعد ذٰلك؛ حفظاً لها من الضياع؛ فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً؛ حيث حفظوا كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام من الضياع وعبث العابثين.

ثانيا: ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إلى ذلك

ظهور البدع في حياة المسلمين:

وتحته مسألتان:

١ ـ وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: «واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين؛ كما أخبر به النبي ﷺ؛ حيث قال: «من يعش منكم بعدي؛ فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[٢]، وأول بدعة ظهرت بدعة القدر وبدعة الإرجاء وبدعة التشيع والخوارج، هٰذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهٰكذا كلما تأخر الوقت؛ زادت البدع وتنوعت».

٢ ـ مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان، والعراقان، والشام،

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٣٥٤).

(٢) صحيح. أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية؛ فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، أما التجهم؛ فإنما ظهر في ناحية خراسان، وهو شر البدع.

وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان؛ ظهرت بدعة الحرورية.

وأما المدينة النبوية؛ فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك؛ فكان عندهم مهاناً مذموماً؛ إذ كان بهم قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مقهورين ذليلين؛ بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام؛ فإنه كان ظاهراً، وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أن الدجال لا يدخلها، ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك، وهم من أهل القرن الرابع[1]، فأما الأعصار الثلاثة المفضلة؛ فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة كما خرج من سائر الأمصار».

الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال؛ قال تعالى: ﴿**وأَنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعوهُ وَلا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقد وضح ذلك النبي ﷺ فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطّاً؛ فقال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن

(١) «مجموع الفتاوى».

شماله، ثم قال: «وهٰذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»[١]، ثم تلا: **﴿وأنَّ هٰذا صِراطي مُسْتَقيماً فاتَّبعوهُ وَلا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فَتَفرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٣].

فمن أعرض عن الكتاب والسنة؛ تنازعته الطرق المضللة والبدع المحدثة.

فالأسباب التي أدت إلى ظهور البدع تتلخص في الأمور التالية: الجهل بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب للآراء والأشخاص، التشبه بالكفار وتقليدهم، ونتناول هٰذه الأسباب بشيء من التفصيل.

١ ـ الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة؛ قل العلم وفشا الجهل؛ كما أخبر بذٰلك النبي ﷺ بقوله: «من يعش منكم؛ فسيرى اختلافاً كثيراً»[٢]، وقوله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولٰكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالماً؛ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٣].

فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء؛ فإذا فقد العلم والعلماء؛ أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

٢ ـ اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة؛ اتبع هواه.

كما قال تعالى: **﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعونَ أَهْواءَهُمْ وَمَنْ**

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم.

(٢) من حديث رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١ / ١٨٠).

أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ وأَضَلَّهُ اللهُ على عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾** [الجاثية: ٢٣].

والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

٣ ـ التعصب للآراء والرجال:

التعصب لآراء الرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق.

قال تعالى: **﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعوا ما أَنْزَلَ اللهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾** [البقرة: ١٧٠].

وهٰذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والصوفية والقبوريين، إذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم وآبائهم وأجدادهم.

٤ ـ التشبه بالكفار:

هو من أشد ما يوقع في البدع؛ كما في حديث أبي واقد الليثي؛ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: **﴿اجْعَلْ لَنا إِلٰهاً كما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، لتركبُنَّ سنن من قبلكم»(١).

---

(١) رواه الترمذي وصححه.

ففي هٰذا الحديث أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل وبعض أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام أن يطلبوا هٰذا الطلب القبيح، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها ويتبركون بها من دون الله، وهٰذا نفسه هو الواقع اليوم؛ فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات؛ كأعياد الموالد، وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات، وإقامة التماثيل والنصب التذكارية، وإقامة المآتم، وبدع الجنائز، والبناء على القبور. . . وغير ذٰلك.

ثالثاً: موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة ومنهجهم في الرد عليهم

موقف أهل السنة والجماعة من المبتدعة:

ما زال أهل السنة والجماعة يردون على المبتدعة وينكرون عليهم بدعهم ويمنعونهم من مزاولتها، وإليك نماذج من ذٰلك:

١ ـ عن أم الدرداء؛ قالت: «دخل عليَّ أبو الدرداء مغضباً، فقلت له: ما لك؟ فقال: والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً»(١).

٢ ـ عن عمرو بن يحيى؛ قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه؛ قال: «كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج؛ مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال: أخرج عليكم أبو عبد الرحمٰن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج؛ قمنا إليه جميعاً، فقال: يا أبا عبد الرحمٰن! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا

---

(١) رواه البخاري.